

# الأرقام في القرآن مواقعها وأسرارها البلاغية

دكتورة / منى عبد الله على فراج  
المدرس بقسم البلاغة والنقد  
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية - بنات بنى سويف



## الأرقام في القرآن مواقعها وأسرارها البلاغية.

الاسم / منى عبد الله على فراج .

قسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بنى سويف

جامعة الأزهر - بنى سويف - جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني

dr-monaaabdalla@yahoo.com

### ملخص البحث :

القرآن الكريم بلغته الصافية الجميلة، وتراكيبه الممتعة مورد لكثير من الدراسات، فالتركيب القرآني ينطوي على أسرار كثيرة فينبغي طرق كل باب يفضي إلى الإفصاح عن تلك الأسرار.

وقد حاول هذا البحث من خلال استقراء بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الأرقام، واستقراء شروحها، وتحليل كلام العلماء فيها، حاول جمع القرائن التي ذكرها العلماء في ترجيح حمل المعنى المراد من العدد في الآيات القرآنية على معناه الحقيقي الحصري، ثم تطرق البحث إلى الدلالات البلاغية التي استعمل العدد فيها، وذكر الأعداد التي تدل على معنى المبالغة والتضعيف وكذلك معنى التقليل، وقد جاء البحث في مقدمة وتشمل أهمية البحث، وسبب اختياره، ومنهجه وخطته.

وتمهيد ويتضمن مفهوم العدد والرقم لغة واصطلاحاً وأغراض نكر العدد في القرآن، ووظيفة العدد في القرآن الكريم. ومبحثين: الأول بعنوان من بلاغة الأرقام التي استعملت في معناها الحقيقي في القرآن والثاني: بعنوان الدلالات البلاغية للأرقام في القرآن، ثم خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها، وأخيراً فهرس المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية (الأرقام / الدلالات الحقيقية / الدلالة البلاغية)

## **Numbers in the Qur'an, their locations and . rhetorical secrets**

**.Name / Mona Abdullah Ali Farrag**

Department of Rhetoric and Criticism / College of Islamic  
and Arabic Studies for Girls in Beni Suef / Al-Azhar  
University / Beni .Suef / Arab .Republic of Egypt

Email : dr-monaaabdalla@yahoo.com

### **Abstract**

The Holy Quran, with its beautiful clear language and its pleasant composition, is a resource for many studies. The Qur'anic structure contains many secrets, so every door leading to the disclosure of these .secrets should be knocked

This research has been attempted by extrapolating some of the Quranic verses in which the numbers are mentioned, extrapolating their explanations, and analyzing the words of .scholars about them

tried to collect the clues mentioned by the scholars in making it more likely to carry the intended meaning of the number in the Quranic verses on it's true and exclusive meaning , Then the research touched on the rhetorical connotations in which the number was used, and mentioned the numbers that indicate the meaning of exaggeration and weakness, as well as the meaning of understatement, The research consisted of an introduction that includes the importance of the research, the reason for .choosing it, its methodology, and its plan

The preface includes the concept of number and figure, a language and a convention, and the purpose of mentioning the number in the Qur'an, and the function of the number in the Noble Qur'an. Two studies: the first with a title from the rhetoric of numbers that are used in their true meaning in the Qur'an and the second: the title of the rhetorical connotations of numbers in the Qur'an, then a conclusion that includes the most important ..results that I reached Finally, an index of and reference.sources

. . Key words (numbers / true connotations / rhetorical .connotation(

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبع هديه إلى يوم الدين. أما بعد:

إن العدد في القرآن الكريم هو مصدر للتأمل و التدبّر في أسرار خلق هذا الكون؛ لأنّ القرآن يهدف دائماً إلى توجيه نظر الإنسان إلى مزيد من البحث والدراسة وتحفيزه إلى الواسع من العلم والعميق من المعرفة، وللعدد ميزته الخاصة فقد يوقع السامع على خلاف المقصود إن لم تفهم دلالاته ويُعرف مفسّره، ولأسيما في النصوص القرآنية، كما أن وجود الأرقام في القرآن الكريم وجه من وجوه إعجاز القرآن، ودليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد نقل السيوطي في إتيقانه "عن ابن سراقه، قال: (من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب...؛ ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب، أنه صلى الله عليه وسلم صادق في قوله، وأن القرآن ليس من عنده؛ إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة، ولا تلقى الحساب")<sup>(١)</sup>.

وقد أعطى القرآن الكريم للعدد أهمية بالغة لماله من تأثير في تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتثبيت الأحكام والشرائع الدينية، فضلاً عن تمتع آيات العدد بنواحٍ جمالية وفنية من خلال الظواهر البلاغية واللغوية التي انطوت عليها وميزتها عن غيرها من النصوص .

(١) ينظر : الإتيقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ص ٦٦٦ القاهرة، ١٣٦٨هـ.

وقد وجدتُ في آراء العلماء في حمل المعنى المراد من الأعداد الواقعة في بعض الآيات القرآنية على المعنى الحقيقي أو البلاغي، دافعاً لهذا البحث، الذي عنونت له بـ (الأرقام في القرآن مواقعها وأسرارها البلاغية)، فحاولتُ من خلال استقراء بعض النصوص القرآنية وشرح المفسرون لها ثم تحليلها بيان القرائن التي استدلتُ بها العلماء في ترجيح حمل العدد على معناه البلاغي دون الحقيقي، ثم حاولت بيان الوجوه البلاغية التي استعملَ العدد من أجلها. ولا يخفى ما لهذا من أهمية بالغة يتوقَّفُ عليه فهم النص القرآني.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين .

مقدمة: وتتضمن أهمية البحث، وسبب اختياره، ومنهجه وخطته

وتمهيد: ويتضمن مفهوم العدد، والرقم لغة واصطلاحاً، وأغراض ذكر العدد في القرآن، ووظيفة العدد في القرآن الكريم.

أما المبحث الأول فـ بعنوان من بلاغة الأرقام التي استعملت في معناها الحقيقي في القرآن الكريم، والثاني: بعنوان الدلالات البلاغية للأرقام في القرآن،

تلى ذلك خاتمة البحث وضمنتها أبرز النتائج التي توصلت إليها .

وختمت البحث بثبت المصادر والمراجع

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون لي ذخراً

في صحيفتي يوم الدين

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .



## التمهيد

عند دراسة أي موضوع أو الكتابة فيه فإنه لابد من ذكر فكرة مبدئية للقارئ تعينه في الاستمرار بالقراءة والاطلاع على تفاصيل الموضوع وقد يسمى التعريف بالتمهيد.

ولما اخترت موضوع (الأرقام في القرآن مواقعها وأسرارها البلاغية) كان لابد من أن أفهم عند تعريف كلا من العدد والرقم لغة واصطلاحاً، بإيجاز دون الخوض في خلاف العلماء في حجية العدد، إذ إن الكلام فيهما يطول، وقد نبه العلماء أن الخلاف الواقع في حجية مفهوم العدد إنما هو في العدد الحقيقي المراد به الحصر لا التكثر أو المبالغة أو غير ذلك من الوجوه البلاغية التي تعيننا في هذا البحث يقول الزركشي: (محل الخلاف فيما لم يقصد به التكثر، فأما المقصود به كالألف والسبعين، وغيرهما، مما جرى في لسان العرب للمبالغة، فلا يدل بمجرد على التحديد)<sup>(١)</sup>

### مفهوم العدد والرقم :

فالعدد لغة: لفظ مشتق من الجذر "عدد" أي حسب وأحصى، قال تعالى: "قَلَّا تَعَجَّلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَّا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا" (مريم ٨٤) يعني أن الأنفاس تحصى إحصاء ولها عدد معلوم والعد مصدر العدد، والعديد الكثرة<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، بدرالدين محمد بن عبد الله، ج ٥ ص ١٧٢ دارالكتبي، ط ١ (د - ت) .

(٢) ينظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ج ١ ص ٧٩، دار الرشيد للنشر ١٩٨٤م.

أما في الاصطلاح: فالعدد هو الكمية المتألّفة من الوحدات فلا يكون الواحد عدداً وإذا فُسر العدد بما يقع به من مراتب العدد دخل فيه الواحد أيضاً<sup>(١)</sup> فالعدد هو الكمية واسم العدد ما دل على كمية المعدود.

فالعدد هو (الذي يدل على كمية الأشياء المعدودة جامدة أو متحركة، ويسمى العدد الأصلي وقد يدل على ترتيبها فيسمى العدد الترتيبي)<sup>(٢)</sup>

وقد ذكر المبرد أن الأعداد الأصلية ما بين (١ - ١٠) لأن الأعداد الأخرى ترجع إليها عن طريق الجمع أو التضعيف<sup>(٣)</sup>

أما الرقم لغة فهو: الكتابة، والختم، قال تعالى: "كِتَابٌ مَرْفُومٌ" (المطففين ٢٠).  
ف(الراء والقاف والميم أصل واحد يدل على خط وكتابة وأشبه ذلك فالرقم الكتاب ويقال للحاذق في صنعته هو يرقم في الماء)<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: التعريفات للشريف الجرجاني تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ص ١٥٧، ١٥٨ دار النفائس، بيروت ط ١ سنة ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك ج ٢ ص ١٦٣ دار مصر للطباعة ط ٢٠ سنة ١٩٨٠م.

(٣) ينظر: المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ج ٣ ص ١٨٥ عالم تكتب بيروت-لبنان د.ت.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ج ٢ ص ٣٥١ اعتنى به: الدكتور محمد عوض وفاطمة محم داصلان دار إحياء التراث العربي، ط ١ سنة ٢٠٠١م.

أما الرقم اصطلاحاً: (فهو من علامات الأعداد التي تبدأ من الواحد إلى التسعة ويتناول الصفر أيضاً)<sup>(١)</sup>

وبذلك يتبين لنا أن العدد أشمل في الإطلاق من الرقم لأن الرقم يطلق علي علامات الأعداد من الصفر إلى التسعة أما إذا تجاوز العدد إلى مرتبة العشرات فيطلق عليه العدد فكل عدد

مكون من رقمين فأكثر يطلق عليه العدد فلا يمكن إطلاق لفظ الرقم عليه إلا إذا كان على سبيل الترتيب، فالأرقام لها عدد محدود من العلامات أما الأعداد فلا حد لها، ومن هذا يتضح لنا الفرق بين المصطلحين

#### أغراض ذكر العدد في القرآن الكريم:

ذكرت الأعداد في القرآن الكريم ومشتقاتها في مواضع كثيرة، ولمناسبات مختلفة ولأغراض متباينة، ومن هذه الأغراض مايلي:

\*التشريع أوبيان الحكم: قال تعالى: "لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (البقرة ٢٢٦)، (فذكر العدد هنا يثبت به حكم الإيلاء في الشرع)<sup>(٢)</sup>، هذا مثال وغير ذلك من الأحكام العديدة النصية، كأحكام الكفارات والمواريث والشهادات والحدود.

(١) ينظر العدد في اللغة : على بن إسماعيل بن سيدة تحقيق :عبد الله بن الحسين الناصر و عدنان بن محمد الظاهر ص ٩ دار النشر بيروت لبنان ط ١ سنة ١٩٩٣م.

(٢) ينظر:،العدد في اللغة مصطفى النحاس،ص:٩٠مكتبة الفلاح الكويت - ط ١- ١٩٧٩م.

\* **التفريق والجمع:** قال الله تعالى: "وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ" (البقرة ١٩٦)، فقد فصل سبحانه وتعالى العدد أولاً بقوله: "ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ" ثم أجمل العدد بعد ذلك بقوله: "تِلْكَ عَشْرَةٌ" وأكدها بعدها بقوله "كَامِلَةٌ"<sup>(١)</sup>

\* **رفع التوهم،** نحو قوله تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ" (العنكبوت ١٤)، (فلوقيل تسعمائة وخمسين سنة لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك، وكأنه قيل: فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد)<sup>(٢)</sup>

\* **الاختبار:** وذلك معنى عام في جميع آيات العدد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الفرقان ٥٩) (يعني في مدة مقدارها هذه المدة؛ لأنه لم يكن حينئذ نهاراً ولا ليلاً)<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر : العدد في اللغة ص ٩٨.

(٢) ينظر المرجع السابق نفس رقم الصفحة.

(٣) ينظر : العدد في اللغة ص ٩٩.

\*المبالغة والتضعيف: وهنا لا يراد حقيقة العدد، وإنما يراد به التكثر والتضعيف، والأصل في ذلك قوله تعالى: "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ" (التوبة ٨٠) فالعدد سبعون جاء من باب التكثر والتضعيف، لامن باب حصر العدد.<sup>(١)</sup>

هل هناك حكمة وراء ذكر الرقم في القرآن؟

لاشك أن الجواب على هذا السؤال بالإيجاب؛ فمادام القرآن قد ذكر رقماً ما، فإنه يكون قاصداً له، ومريداً لمضمونه، فقد يستبين لنا معناه، وقد يخفى عنا، وقد يعلمه الراسخون في العلم، ويخفى على غيرهم.

#### وظيفة العدد في القرآن الكريم:

إن وظيفة العدد لا تنحصر في ترتيب موقع أو تحديد مكان فهي تتجاوز ذلك إلى تفصيل حكم شرعي وتوضيحه أو تبين أمر مشكل وإزالة غموضه أو توزيع وتنظيم أمر ما بصورة حكيمة فمن الأمور التي فصلها العدد في القرآن قوله تعالى في كفارة اليمين: "لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْنَةِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (المائدة ٨٩) فالآية الكريمة تتحدث عن كفارة اليمين ففصلت حكمها الشرعي ووضحت أن من عجز عن الإطعام أو الكسوة أو تحرير رقبة فإنه يلزمه صيام ثلاثة أيام ليكفر عن يمينه .

(١) ينظر المرجع السابق ص ١٠٠ بتصرف.

ومن تبين المشكل وإزالة غموضه قوله تعالى: "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعُ ۚ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا" (الكهف ٢٥-٢٦) فالآية الكريمة إخبار من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بمقدار ما لبث أهل الكهف منذ أرقدهم الله تعالى إلى أن بعثهم وأعثر عليهم أهل زمانهم وكان مقدار ما لبثوا بحسب الآية الكريمة ثلاث مئة سنة شمسية أى بالحساب الشمسى ولما كان الحساب القمري ينقص عن الحساب الشمسي قال تعالى: "وَازْدَادُوا تِسْعًا" أى لبثوا ثلاث مئة وتسع سنين بالحساب القمري<sup>(١)</sup>

ومن التوزيع والتقسيم ما ورد في سورة النساء من تقسيم المواريث على مستحقيها بنسب وأعداد تكفل حق الجميع ولا تنقص من حق أحد شيئاً .

ومن هذا يتبين لنا بجلاء أن وظيفة الأعداد فى القرآن لم تكن حسابية فقط ولم تكن مهمتها جمع الكميات المتألفة منها الأعداد وإنما كانت وظيفتها أرقى وأسمى فهي وظيفة بيانية تفصيلية .

والأعداد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي: واحد-اثنان-ثلاثة-أربعة-خمسة-سنة-سبعة-ثمانية-تسعة-عشرة-أحد عشر-اثنان عشر-تسعة عشر-عشرون-ثلاثون-أربعون-خمسون-ستون-سبعون-ثمانون-تسعة وتسعون-مائة-مائتان-ثلاثمائة - ألف-ألفان-ثلاثة آلاف-خمسة آلاف-خمسون ألفا-مائة ألف.

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامى بن محمد السلامة ج ٥ ص ١٥٠

دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢ سنة ١٩٩٩م.

## المبحث الأول

### من بلاغة الأرقام التي استعملت في معناها الحقيقي في القرآن

من المقرر عند العلماء أن الأصل في الكلام حمله على معناه الحقيقي الظاهري إلى أن تأتي قرينة تصرفه عن ذلك، وهذه القاعدة يدخل ضمنها العدد، إذ الأصل أن يُحمل العدد على دلالاته الرقمية الحصرية إلى أن تأتي القرينة الصارفة عن ذلك، فالأصل في العدد أن يكون دالا على معناه قطعاً، فالخمسـة مثلاً تدل على معناها لا أكثر ولا أقل قال البيضاوي: (التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد أو الناقص)<sup>(١)</sup>

فإذا أطلق العدد فإن المتلقي يحمله على معناه الذي وضع له وتكون دلالاته دلالة نصية وهناك من الأرقام التي وردت في القرآن الكريم بهذه الدلالة في أغلب الآيات فمن الأعداد التي وردت في القرآن الكريم بمعنى الدلالة القطعية للعدد ولا تحتل غيرها (واحد) فإن هذا العدد لم يرد به الكثرة لأنه لم يوضع للجمع أصلاً، وهو ليس بحاجة إلى مفسر، وقد تكرر ذكره في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، وجميعها تدل دلالة صريحة على الدلالة الحقيقية للعدد.

(١) ينظر : منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ج ٣ ص ٩٧٢ دار البحوث الإسلامية ٢٠٠٤م.

والعدد (واحد) هو أهم الأعداد لدلالته على الوحدانية ولأنه أول الأرقام وأول عدد الحساب كما يشير إلى ذلك المعنى اللغوي<sup>(١)</sup>

وهو من الأعداد التي سجلت حضوراً متميزاً في القرآن الكريم، فقد ورد بصيغتي المذكر والمؤنث (واحد واحدة) إحدى وستين مرة، وورد بصيغتي (أحد إحدى) أربعاً وثمانين مرة، ووردت (أحد) مضافة إلى الضمائر تسعاً وعشرين مرة<sup>(٢)</sup>، بذات سجل هذا العدد أعلى شيوع له من بقية الأعداد في القرآن الكريم، لما اشتمل عليه من معان وجاء به من دلالات وعلينا أن لا ننسى بـ

أن اختيار القرآن للألفاظ في دلالتها إنما جاء متناسقاً مع مقتضيات الحال وطبيعة المناسبة، وقد يكون ذلك التناسق صادراً لجهات متعددة تؤخذ بعين الاعتبار<sup>(٣)</sup>، ولأن الإسلام هو دين التوحيد الذي ينادي بوحدانية الخالق فإن من أهم السياقات التي ورد فيها العدد (واحد) هي الوحدانية، لدلالته على التوحيد ونفى الشرك على الإطلاق<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ " (المائد ٧٣)، فالله سبحانه وتعالى أكد الوحدانية بأن خص نفسه عز وجل بهذه الصفة بواسطة أسلوب القصر الحقيقي، وقد أفاد الأسلوب إثبات

(١) ينظر : لسان العرب لابن منظور مادة "وحد" دار المعارف

(٢) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (أحد) ص ١٦

(٣) ينظر : تطور البحث الدلالي (دراسة في النقد البلاغي واللغوي) تأليف محمد حسن على الصغير ص ٦٢ بغداد دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ١٩٨٨م.

(٤) ينظر : عجائب القرآن : ٤٤، والكون بين العلم والدين : ٧٤،



صفة الوجدانية لله عز وجل ونفيها نفيًا تامًا عن كل ما عداه جل جلاله، فالقرآن الكريم يخاطب هنا بأسلوب القصر من يعتقد الشركة، فيثبت بهذا الأسلوب الحكم لواحد فقط، وينفيه عن غيره، يقول الزمخشري: (مِنْ) في قوله " وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ " للاستغراق وهي المقدره مع (لا) التي لنفي الجنس في قولك : لا إله إلا الله والمعنى: وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوجدانية لا ثاني له، وهو الله وحده لا شريك له) (١) وهذا المعنى، بدلالة العدد " واحد"، يتناسق مع السياق العام لسورة المائدة التي تتحدث عن "الدين" وضرورة أتباع شريعة الله وحده وتلقي الحكم منه وحده بما أنزل دون سواه) (٢)

و لشدة إنكار المشركين للوجدانية يأتي القرآن الكريم بالخبر مؤكداً بأكثر من مؤكد، في قوله تعالى: " إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ " (الصفافات: ٤)، هذه الآية مكية وأهل مكة كانوا ينكرون الوجدانية آنذاك، فقد وقعت الآية جواباً للقسم بقوله (والصفافات) مؤكدة ب(إن واللام) فأكد سبحانه بذلك على توحيد ربوبيته وألهيته مخاطباً أيهم بكلامهم فجواب القسم يفيد بأن (الجملة تحقيق الحق الذي هو التوحيد بما هو مألوف في كلامهم من التأكيد القسمي) (٣)

ولكننا نجد في موضع آخر آية مشابهة خلت من التوكيد، قال تعالى: "إِلَهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالذَّيْنِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ"

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري تحقيق خليل مأمون شيما ٣٠٣ دار المعرفة بيروت ط٣ سنة ٢٠٠٩م.

(٢) ينظر ظلال القرآن سيد قطب ج ٦ ص ٩٤٠ دار الشروق ط٣٢ سنة ٢٠٠٣م.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٨٤/٧، وينظر التبيان في أقسام القرآن: ١/٢٧٢

(النحل: ٢٢)، الآية مكية أيضاً فكان الظاهر أن يلقي إليهم هذا الخبر مؤكداً، ولكن خرج عن مقتضى الظاهر وألقي إليهم بدون تأكيد إذ نزل المنكر منزلة غير المنكر (وفي ذلك بيان أن القضية في حقيقتها ظاهرة، حري بها أن لا ينكرها أحد)<sup>(١)</sup> وذلك لما سبقته من أدلة واضحة على وحدانيته سبحانه وتعالى لا يستطيع الإتيان بها إلا القادر الواحد الأحد، يقول الزمخشري (يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنها له وحده لا شريك له فيها، فكان من نتيجة ثبات الوجدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم، وأن قلوبهم منكرة للوجدانية، وهم يستكبرون عنها وعن الإقرار بها)<sup>(٢)</sup>، ولإقرار هذه النتيجة جاء في النهاية بالخبر مؤكداً بضمير الفصل (هم) في قوله (قلوبهم منكروهم مستكبرون) فالتأكيد بضمير الفصل أفاد بأن ما بعده يكون خبراً لا صفة (ولاشك أن الخبر أقوى في الدلالة وفي تثبيت الحكم من الصفة، لأن الخبر عمدة في الكلام).<sup>(٣)</sup>

وورود الخبر على هذا الشكل لا يعني خروجه عن مقتضى الظاهر دائماً، ذلك بأن الأساس مراعاة مقتضى الحال، ففي قوله تعالى: " : " وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ " (البقرة: ١٦٣)، فقد جاء الأسلوب خالياً من التأكيد لم

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفانها: ١٣٥

(٢) ينظر: الكشاف: ٥٦٢/٢

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفانها: ١١٧

يخرج عن مقتضى الظاهر بعدم تأكيده، لأن الخطاب كان موجهاً لأهل المدينة وهم مسلمون لا ينكرون الوجدانية لله - سبحانه وتعالى - لذلك ترك التوكيد.

وقد كرر لفظ "إله" وأخبر به عن "إلهكم" ليجري عليه الوصف بواحد، والمعنى: أنه واحد في الإلهية (لأن ورود لفظ الواحد بعد لفظ الإله يدل على أن تلك الوحدة معتبرة في الإلهية لا في غيرها، فهو بمنزلة وصف الرجل بأنه سيد واحد، وبأنه عالم واحد، ولما قال: "وإلهكم إله واحد" أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول: هب أن إلهنا واحد، ففعل إله غيرنا مغاير لإلهنا، وبذا فإنه أزال هذا التوهم ببيان التوحيد المطلق ولذلك قال: "لا إله إلا هو" تقريراً للوجدانية<sup>(١)</sup>، فلفظ "إلهكم" مبتدأ، و"إله" خبر، و"واحد" صفة، ولكن خبر في المعنى، وقد جرى بما كان أصله خبراً مجيء النعت فأفاد أنه وصف ثابت للموصوف؛ لأنه صار نعتاً، إذ أصل النعت أن يكون وصفاً ثابتاً وأصل الخبر أن يكون وصفاً حادثاً، وهذا استعمال متبع في فصيح الكلام .

والملاحظ أن العدد (واحد) يأتي معرباً بـ (ال) حين يقع صفة لله سبحانه وتعالى فحسب<sup>(٢)</sup>، وتفسير ذلك أنه نعت يلزمه على الحقيقة لأنه كان قبل ولا ثاني له، والثاني خلاف الواحد، وعلى هذا فإن وصف الواحد والأحد لله عز وجل هو تخصيص له جل شأنه بالواحدية والأحدية، ومن هنا عُرف

(١) ينظر مفاتيح الغيب المشتهر بـ (تفسير الرازي)، للأمام محمد الرازي فخر الدين ج ٤ ص ١٩٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

(٢) ينظر : دراسات نحوية في القرآن: ١٧

مصطح التوحيد<sup>(١)</sup>، ومن ذلك قوله تعالى: "يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (يوسف ٣٩) (والمعنى: اعتقاد وجود أرباب متفرقين أرجح أم اعتقاد أنه لا يوجد إلا إله واحد..... فوصف التفرق بالنسبة للتعدد ووصف القهار بالنسبة للوحدانية)<sup>(٢)</sup>

أما لفظة "أحد" فقد جاءت في القرآن الكريم بدلالات كثيرة ضمن السياقات التي وردت فيها وهي لا تخرج بمعناها العام عن الواحد في الخلق أو الفرد من الناس، مشيرة إلى التعميم حيناً وإلى التخصيص حيناً آخر وإضافتها إلى الضمائر تدل دلالة واضحة على هذا المعنى<sup>(٣)</sup> فضلاً عن التحديد مثال ذلك قوله تعالى: "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ" (القصص ٢٥، ٢٦).

(١) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن دراسة دلالية مقارنة عودة

خليل ابو عودة ص ١٠٠-١٠١ مكتبة المنار الاردن ط ١ سنة ١٩٨٥م

(٢) ينظر: التحرير والتوير لـ محمد الطاهر بن عاشور ج ١٢ ص ٢٧٥، طبعة الدار التونسية للنشر، (د.ت)

(٣) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن (دراسة دلالية مقارنة)، عودة خليل أبو عودة ٩٧،

فالتعبير القرآني لم يخصص واحدة معينة في الحالتين سواء التي جاءت تمشي على استحياء أو تلك التي قالت أستأجره، لكن المعنى العام لـ (أحد) وأثر السياق يدل على أنها واحدة، فضلاً عن أسلوب الخطاب إذ يوحي بأنها واحدة معينة، ذلك لأنه قال في المرة الأولى "فجاءته إحداهما" وفي المرة الثانية "قالت إحداهما" فالاستعمال نفسه في الصيغتين يدل بأنها واحدة في المرتين تلك التي مالت إلى موسى القوي الأمين، ثم أصبحت زوجته، ولعل لفظة "استحياء" تحيل إلى هذا المعنى ذلك بأن التي فكرت أن تكون زوجة له حري أن تراودها مشاعر الحياء دون الأخرى<sup>(١)</sup>.

وهناك فرق بلاغي بين لفظة "واحد" و"أحد" ف "الواحد" يجوز أن يكون له ثان بخلاف "أحد" كذلك "الواحد" يجوز أن يستعمل وصفا مطلقا و"الأحد" يختص بوصفه عز وجل قال تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" (الإخلاص آية) وتفسير ذلك يرجع إلى أمرين : أحدهما متعلق بسبب نزول هذه الآية وهو عندما سألت قريش عن أوصاف الرب المعبود من الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"<sup>(٢)</sup> والآخر (التفرد في الوجود والتوحد في الحقيقة يفهم من صفة الأحد أكثر مما يفهم من صفة الواحد، إذ إن في الأحد خصوصية ليست في الواحد لأن الأحد يحمل معنيين معاً هما الأول والواحد في الوقت نفسه...وهنا

(١) ينظر :دراسة نصية (أدبية) في القصة القرآنية : ١٤٨-١٤٩

(٢) ينظر :من أسرار البلاغة في القرآن د. محمود السيد شيخون ص ١١٥، مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة، ١٩٨٠ م

يمكن الإشارة إلى دور السياق في فهم الأحادية المنبثقة من هذه الآية، فكلمة "أحد" هنا منقطعة عن الإضافة تدل دلالة قاطعة على أنها تعني التفرّد في كل وصف وعن كل شريك<sup>(١)</sup>

وقد ورد العدد "واحد" بصيغة المؤنث في القرآن الكريم ودل على المعنى الحقيقي للعدد دلالة نصية كما في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ" (النساء: ١)، وإذا تأملنا هذه الآية الكريمة نجد براعة الاستهلال المستند إلى العدد المؤنث (واحدة) بدلالاته الخلقية في النمو والإخصاب لديمومة الحياة، مع المناسبة في افتتاح هذه السورة حيث تضمنت الآية مجمل ما في السورة من الأحكام: كنكاح النساء ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام وهذا راجع لأساس الخلق (من نفس واحدة) وذلك لأن (كثيراً من هذه الأحكام قد شرع لتنظيم العلاقة بين الزوجين)<sup>(٢)</sup> فالمعنى أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان من أصل واحد وهو نفس آدم وخلق منها حواء وفرغ منهما رجالاً ونساءً، ونجد جمال الوصل في هذه الآية الكريمة حيث وصل بين الأفعال "خلق، وبث، واتقوا" والمغزى البلاغي للوصل هنا أنه سبحانه وتعالى أمر عباده بالتقوى وذكر عقيب ذلك أنه خلقهم من نفس واحدة، كأنما كان هذا سبباً في وجوب التقوى، وقد عبرت الآية بالأفعال الماضية، (خلق)

(١) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ١٠١

(٢) ينظر: النظم الفني في القرآن عبد المتعال الصعيدي ٧٧ مكتبة الآداب (د.ت.د.ط)

و(بث) للدلالة عن أحداث منتهية، وهذه الأفعال ارتبطت بعضها ببعض ذلك بأن كلاً منها اقتضى الآخر ليكون عقباً له.

ومن الألفاظ التي جاءت في معنى الواحد لفظة "فرادى" وقد وردت في موضعين في القرآن الكريم وفي السياقين كليهما دلت على العدد (واحد)، قال تعالى: "وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" (الأنعام: ٩٤)، وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى" (سبأ: ٤٦)، فقوله "فرادى" يعني واحداً واحداً<sup>(١)</sup> والسياق جاء بهذه اللفظة دلالة على إيراد الله سبحانه وتعالى تفرقهم واحداً واحداً أو اثنين اثنين، فقوله "مَثْنَى وَفُرَادَى" (أى متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً

فإن الازدحام يشوش الأفهام ويخلط الأفكار بالأوهام)<sup>(٢)</sup>

أماما زاد على "واحد" من الأعداد فقد تكون دلالاته نصية أى إرادة المعنى الحقيقي للعدد وقد تكون دلالاته دلالة ظنية أى إرادة المعنى البلاغي للعدد وهنا تبرز وظيفة السياق في تحديد الدلالة، فالعدد "سبعة" مثلاً قد لا يدل على حقيقته دائماً لأنه قد يرد معه في السياق قرينة تجعله يدل على غير حقيقته وهذا ما سنتحدث عنه فيما يأتي من البحث إن شاء الله تعالى.

(١) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي تحقيق د عبد الفتاح أبو سنة ج ٤ ص

٣٧٨ دار إحياء التراث العربى بيروت - لبنان ط ١ سنة ١٩٩٧م

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود ج ٧ ص ١٣٨ دار

إحياء التراث العربى بيروت لبنان

أما العدد (اثنان) فقد ورد باشتقاقات ودلالات مختلفة ضمن السياقات التي جاء فيها.

فذكر بصيغة) اثنين - اثنتين - ثاني - مثنى - مثنائي (في أكثر من موضع في القرآن الكريم وقد أفضت إلى دلالات معينة ضمن السياقات التي جاءت فيها .

إن المعنى اللغوي للعدد "اثنين" يشير إلى أنه ضعف العدد واحد، ومعنى (ثناه تثنية) جعله اثنين وثنى الشيء صار له ثانياً<sup>(١)</sup> فقد ورد هذا الرقم في القرآن الكريم باشتقاقات ودلالات مختلفة ضمن السياقات التي جاء فيها، فمما ورد في القرآن الكريم ودل على المعنى الحقيقي للعدد، أى دل دلالة نصية قوله تعالى: "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ" (يس : ١٤)، ففي هذه الآية عبر القرآن بالأسلوب الخبرى عن تكذيب أهل أنطاكية لأصحاب عيسى عليه السلام عندما أرسلوا إليهم، فجاءت الآية مؤكدة بمؤكدين (إن واسمية الجملة) في (إنا إليكم مُرْسَلُونَ) أي قال الثلاثة جميعاً، فالثالث تعزيز وتقوية للثنتين وعليه جاءوا بكلامهم هذا مؤكداً (لسبق التكذيب للثنتين والتكذيب للثنتين تكذيب للثالث، لأنهم أرسلوا جميعاً بشيء واحد وهو الدعاء إلى الله عز وجل)<sup>(٢)</sup>، ولكن عندما أصر أصحاب القرية على تكذبيهم، جاء قوله مؤكداً بمؤكدين آخرين الأول (القسم) في قوله، (ربنا يعلم)

(١) ينظر لسان العرب : (ثنى)، ودراسات نحوية في القرآن : ١٩

(٢) ينظر : من بلاغه النظم العربي: ٨١/١.



والثاني (اللام) في قوله (إنا إليكم لمرسلون)، وقد يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: ما الحكمة من بعث الاثنين، يجيبنا على ذلك الرازي بقوله: (في بعث الاثنين حكمة بالغة وهي أنهما كانا مبعوثين من عيسى بأذن الله فكان عليهما إنهاء الأمر إلى عيسى والإتيان بما أمر الله، والله عالم بكل شيء لا يحتاج إلى مشاهد يشهد عنده وأما عيسى فهو بشر فأمره الله بإرسال اثنين ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة)<sup>(١)</sup>

ومن صور العدد (اثنين) وروده بصيغة (مثنى) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ" (فاطر ١)<sup>(٢)</sup> فلفظة (مثنى) هنا دالة على معنى التكرير لاسم العدد التي تشتق منه، والمعنى: أنهم ذوو أجنحة بعضها مصففة جناحين جناحين في الصف أو ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة)<sup>(٣)</sup>.

وقد جاء التعبير بالجملتين الاسميتين (فاطر السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و(جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) دلالة على أن الأمر مستقر وثابت وتام، فسبحانه قد فطر السموات والأرض على غير تبديل، ويد القدرة الإلهية قد جازمت بجعل الملائكة رسلاً ذوي أجنحة دون منازع؛ لذلك لم يقل (سأجعل) بل جاء باسم الفاعل (جَاعِلِ) للدوام والثبوت وهذا المعنى لا يؤديه الأخبار بالجملة الفعلية.

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٥١/٢٦

(٢) ينظر أيضا سورة النساء :آية ٣ ، و سورة سبأ : آية ٤٦

(٣) ينظر التحرير والتتوير : ٢٤٩/٢٢ - ٢٥٠، وصفوة التفسير : ٥٦٤/٢

ويبين الإمام عبد القاهر الجرجاني الفرق في استعمال الجمل الفعلية والاسمية بقوله: (وإذا ثبت الفرق بين الشيء والشيء في مواضع كثيرة، وظهر الأمر بأن ترى أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، وجب أن تقضي بثبوت الفرق، حيث ترى أحدهما قد صلح مكان الآخر، ونعلم أن المعنى مع أحدهما غيره مع الآخر كما هو العبرة في جمل الخفي على الجلي وينعكس لك هذا الحكم أعني أنك كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه كذلك تجد الفعل يقع حيث لا يصلح الاسم مكانه ولا يؤدي ما يؤديه)<sup>(١)</sup>

ومن الأعداد التي جاءت وأريد بها المعنى الحقيقي أيضا، العدد (ثلاثة) :-  
وقد ورد في القرآن الكريم وبصيغ متعددة مثل "ثلاثة، ثلاث، ثلث، وثالث" وجاء في اللسان: (الثلاثة من العدد في عدد المذكر معروف والمؤنث ثلاث. وتلث الاثنان يثلثهما ثلثاً : صار لهما ثالثاً)<sup>(٢)</sup>

وقد عبر القرآن الكريم بالعدد ثلاثة عن اليقين، إذ يمكن للمرأة أن تعرف ما في بطنها من عدمه بانتظار ثلاثة قروء وهما الطهر أو الحيض، قال تعالى: "وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ" (البقرة ٢٢٨)، فالآية الكريمة أمر من الله عز وجل للمطلقات المدخول بهن من نوات

(١) ينظر دلائل الإعجاز: حقيق/ محمود محمد شاكر ص ١٣٥ - مطبعة مدني بالقاهرة  
ط٣ عام ١٤١٣ هـ عام ١٩٩٢ م .

(٢) ينظر لسان العرب مادة ثلث.

الأقراء أن يمكن بعد الطلاق ثلاثة قروء وإن شئت بعدها فليتزوجن.

وواضح من الآية الكريمة أن الأمر جاء بصيغة الإخبار وفي ذلك من التوكيد والإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأن المأمورات بالتربص قد امتثلن الأمر وكأن الله سبحانه وتعالى يخبر عن أمر موجود<sup>(١)</sup>، وجملة "يتربصن" لفظها أمر على تقدير لام الأمر أي "ليتربصن"<sup>(٢)</sup>، والأمر هنا على حقيقته، وقد قدم الفاعل "المطلقات" على الفعل "يتربصن" لأنه (إذا قدمت الاسم فقلت: زيد فعل، فهذا يفيد من التأكيد والقوة مالا يفيد قولك: فعل زيد، وذلك أن قولك: زيد فعل يستعمل في أمرين: أحدهما، أن يكون لتخصيص ذلك الفاعل بذلك الفعل، والثاني تقديم ذكر المحدث عنه بحديث كذا لإثبات ذلك الفعل)<sup>(٣)</sup> لهذا جاء التعبير القرآني لإثبات المعنى للفاعل من غير نظر إلى تعلقه بالمفعول.

و"القروء" جمع كثرة مفردة "قُرء" والقرآن الكريم استعمل جمع الكثرة "قروء" ويعمل الزمخشري اختيار جمع الكثرة "قروء" على جمع القلة "أقراء" (بأنه من باب الاتساع في استعمال صيغة مكان أخرى، لاشتراكهما في الدلالة على الجمع، وقد يكون القرآن استعمل جمع الكثرة "قروء" لأنه أكثر استعمالاً من جمع القلة

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ص ١٣٢ بتصرف

(٢) ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للحلبي تحقيق أحمد محمد الخراط ج ٢ ص ٤٣٧ دار القلم دمشق (د،ت) (د،ط).

(٣) ينظر دلائل الإعجاز . ص ١٣٢.

فأثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل<sup>(١)</sup> ، والذي يرجح أن استعمال جمع الكثرة من باب التوسع في وضع أحد الجمعين موضع الآخر . أما إذا عدنا إلى القياس فينبغي ذكر القراء بصيغة القلة التي هي الأقرء، ولكنهم يتوسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر..... فالمراد بالمطلقات جميع المطلقات نوات الأقرء الحرائر وغيرهن وجميعها متجاوز فوق العشرة، فهي مستعملة مقام جمع الكثرة ولكل واحدة منها ثلاثة أقرء فيحصل في الأقرء الكثرة فحسن أن يستعمل جمع الكثرة في تمييز الثلاثة تنبيها على ذلك<sup>(٢)</sup>

و(القراء) من الأضداد فهو يحمل معنى الحيض ومعنى الطهر، ونلاحظ البلاغة الصوتية في الآية الكريمة، وذلك في كثرة ورود صوت النون الذي تكرر "١٤" مرة كان في عدد منها ضميراً متصلاً وفي بعضها الآخر حرفاً مؤكداً وفي هذا التكرار نوع من التوكيد الصوتي فضلاً عن التوكيد الدلالي فصوت النون المجهور الواضح في السمع أعطى الألفاظ قوة ووضوحاً يؤكد المعنى المقصود، وهكذا أريد بالعدد ثلاثة معناه الحقيقي

ومن استعمال القرآن الكريم للعدد ثلاثة في معناه الحقيقي أيضاً قوله تعالى : " وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ " (التوبة

(١) ينظر الكشاف ج ١ ص ١٣٢ .

(٢) ينظر روح المعاني للألوسي تحقيق على عبد الباري عطية ج ٢ ص ١٣٣ - دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ عام ١٩٩٤م .

(١١٨)، فالآية الكريمة واردة في سياق امتنان الله تعالى بالتوبة على المؤمنين في الآية السابقة وهي قوله تعالى: " لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَأُفْرِدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ التَّوْبَةَ عَلَى ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ وَهُمْ (كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيع) الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر<sup>(١)</sup> وقد ذكر القرآن الكريم هؤلاء الثلاثة بذكر التوبة عليهم مرة أخرى مع أنهم داخلون في عموم المؤمنين الذين تاب الله عليهم في الآية السابقة من باب ذكر الخاص بعد العام والسر البلاغي في ذلك هو التنويه بشأن توبة هؤلاء الثلاثة وأنها بلغت من الإخلاص إلى أنها تستحق أن تفرد بالذكر، وكما نلاحظ أن الرقم ثلاثة قام مقام الذوات المراد الإخبار عنهم .

وفي هذه الآية الكريمة وردت كلمة "ضاق" مرتين وفي المرتين جاءت استعارة، الأولى منهما "ضاق عليهم الأرض" مع سعتها، والثاني "وضاقت عليهم أنفسهم"، بسبب الغم والهم الذي أصابهم وبسبب المقاطعة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم، فهجرتهم نساؤهم وأهلهم حتى تاب الله عليهم، فضيق أنفسهم استعارة للغم والحزن لأن الغم يكون في النفس بمنزلة الضيق .

وجاء في المعجم ("ضاق" ضيقاً انضم بعضه بعضاً فلم يتسع لما فيه ويقال: ضاقت حيلته وضاق بالأمر وضاق صدره به تألم أو ضجر منه)<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر السيرة لابن هشام علق عليها وخرج أحاديثها د/ عمر عبد السلام تدمري ج٤ ص ١٧٣ دار الكتاب العربي بيروت ط٣ سنة ١٩٩٠م.

(٢) ينظر المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، احمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، باب الضاد ج١ ص ٥٤٨ دار الدعوة، (د.ت).

يقول الألوسى : (وظاهر قوله "وضاقت" أنه غاية للتخليف بمعنى تأخير الأمر أى أخر أمرهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض "بما رحبت" أى :برحبها وسعتها لإعراض الناس عنهم وعدم مجالستهم ومحادثتهم لهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم لهم بذلك وهو مثل لشدة الحيرة،....."وضاقت عليهم أنفسهم" أى قلوبهم ومعنى ضيقها غمها وحزنها كأنها لا تسع السرور لضيقها، وفى هذا ترق من ضيق الأرض عليهم إلى ضيق فى أنفسهم وهو غاية فى البلاغة)<sup>(١)</sup>.

و قوله "ثم تاب عليهم" يلاحظ هنا بلاغة التعبير بحرف العطف "ثم" الذي يفيد الترتيب والتراخى مما يوحى بالتراخى والبطء فى أمر توبة الله عليهم، وهذا المعنى من التراخى يناسب ماكان من أمر هؤلاء الثلاثة وطول إحساسهم بالزمن — خلال مدة المقاطعة والانتظار ولكنها مع ذلك تنطوي فى هذا التركيب البلاغى الجديد المعجز على معنى المفاجأة التي تعبر عنه الآية وذلك بتحقيق الأمل بعد اليأس الطويل والحيرة فى الأمر، وضيق الأرض بثلاثتهم كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً مما هم فيه، بل ضيقهم بأنفسهم، بحيث صارت قلوبهم لا يسعها أملٌ أو اطمئنان<sup>(٢)</sup>، وقوله "تاب عليهم ليتوبوا) أى: وفقهم للتوبة و أنزل قبول توبتهم فى القرآن وأعلمهم بها ليعدهم المؤمنون فى جملة التائبين .

(١) ينظر روح المعانى ج١٢ ص ٥٧.

(٢) ينظر : ينظر بلاغة العطف فى القرآن الكريم (دراسة أسلوبية):٦٦-٦٧ بتصرف.

وقد حذفت الجملة الواقعة جواب "إذا" للاختصار، والتقدير: طال بهم الغم حتى إذا ضاقت عليهم الأرض برحبها ألماً وحيرة من هجر المسلمين لهم وضاقت صدورهم خوفاً من الله وأعتقدوا أن لاملجاً من سخطه إلا بالإنابة إليه، ثم إن الجملة المحذوفة حذفت لأن كل ما وجد في الآية يدل عليها، وبذا قد جاء العدد (ثلاثة) على حقيقته العددية ليحدد هذه المجموعة من دون المسلمين لتخلفهم عن المشاركة في المعركة .

ومن الأعداد التي جاءت في القرآن الكريم وأريدبها المعنى الحقيقي العدد (أربعة): وقد تناول القرآن الكريم هذا العدد وبصيغته (أربعة، وأربع، ورابع) في أكثر من موضع، وتبرز دلالة هذا العدد غالباً في سياق الأحكام الشرعية وخصوصاً فيما يتعلق منها بالنساء، حيث ارتبط معناه في القرآن الكريم بمدة الطلاق، وحزن المرأة على زوجها بعد وفاته، وهو ما يعرف بالعدة لحكمة إلهية تضمن الحصن للمرأة والطفل والزوج معاً، ففي حكم التفريق قال تعالى: لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (البقرة ٢٢٦)، فالعدد هنا يتميز بالشمولية في الحكم، فمدة التربص لم تقتصر على المسلمين بل تشمل الكفار، وكذلك فإن مدة الإيلاء لا تختلف بالرق والحرية فهي (أربعة أشهر) سواء أكان الزوجان حرين أو عبيدين أو أحدهما كان حراً والآخر عبداً، لذلك جاءت الألفاظ دالة على هذا الاتساع والشمولية: "الذين، يؤلون، نسائهم، فاءوا"، فهذه الألفاظ في دلالاتها وترتيبها حققت مواشجة دلالية على تناول الكل وإفادة العموم إذ تتجه نحو الإطلاق لا التقييد، وذلك لأن تقدير هذه المدة إنما يرجع إلى الجبلية والطبع بسبب قلة

الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والعبد، مثل (الحيض ومدة الرضاع .. الخ)<sup>(١)</sup>، ومجىء اللام في قوله " لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ" تدل على أن هذا الحكم خاص بهم، أى بيان أن هذا التربص جعل للتوسعة عليهم فاللام للأجل، وقد عدى الفعل " يُؤْلُونَ" ب" من "دون "على" مع أن حقه أن يعدى بعلى؛ لأنه قد ضمن معنى البعد فعدى بالحرف المناسب لفعل البعد وكأنه قال: للذين يؤلون متباعدين من نسائهم .

وقد تقدم المسند " لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ" على المبتدأ المسند إليه وهو "تربص"، للتشويق لذكر المسند إليه، وأيضاً للاهتمام بهذه التوسعة التي وسع الله بها على الأزواج .

وكذلك الحال في قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا" (البقرة ٢٣٤)، فقد أختصت هذه الآية ببيان مدة العدة التي تلزمها المرأة المتوفى عنها زوجها بقوله "أربعة أشهرٍ وعشراً" قاله سبحانه وتعالى حد العدة بهذا القدر؛ لأن الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الأربعة، بينما جعل الألوسى أن تحديد الله تعالى هذه المدة لتكون عدة المتوفى عنها زوجها مما استأثره الله تعالى بعلمه يقول فى أثناء تفسيره لهذه الآية: (لعل ذلك الرقم لسر تفرد الله تعالى بعلمه، أو علمه من شاء من عباده)<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر التفسير الكبير : ٨٧/٦، ووتطور البحث الدلالي : ٦٣

(٢) ينظر روح المعانى ج ٢ ص ١٤٩ .



كما جاء العدد (أربعة) دليلاً على عظمة الخالق وقدرته، قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ" (البقرة: ٢٦٠)، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يأخذ أربعة طيور وهي (الطاووس والديك والغراب ونسرا) وفي قول حماسة بدل النسرا<sup>(١)</sup>، والمسألة تكمن هنا في (أن المقصود من الإحياء والإماتة كان حاصلًا بحيوان واحد، فلم أمر بأخذ أربع حيوانات، تأتي الإجابة من وجهين: الأول: - أن المعنى فيه أنك سألت واحداً على قدر العبودية وأنا أعطي أربعاً على قدر الربوبية .

والثاني: - أن الطيور الأربعة إشارة إلى الأركان الأربعة التي منها تركيب أبدان الحيوانات والنباتات .....، وإنما خص هذه الحيوانات لأن الطاوس إشارة إلى ما في الإنسان من حب الزينة والجاه والترفع، قال تعالى "زين للناس حب الشهوات" والنسرا إشارة إلى شدة الشغف بالأكل والديك إشارة إلى شدة الشغف بقضاء الشهوات من الفرج، والغراب إشارة إلى شدة الحرص على الجمع.... والإشارة فيه إلى أن الإنسان ما لم يسع في قتل شهوة النفس والفرج وفي إبطال

الحرص وإبطال التزين للخلق لم يجد في قلبه روحاً وراحة من نور جلال

الله. (٢)

(١) ينظر الكشاف ٤٩ و التفسير الكبير ج ٧ ص ٤٣

(٢) ينظر : التفسير الكبير ج ٧ ص ٤٤

ومن الأعداد التي جاءت وأريد بها المعنى الحقيقي العدد (خمسة) :- وَرَدَ مرتين في القرآن الكريم، ولم يبتعد في معناه عن زيادة عددٍ على مجموعةٍ معينة وذلك كما في قوله تعالى: " وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ " (الكهف ٢٢) وقوله تعالى: " مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ " (المجادلة ٧)، وكذلك ورد بصيغة اسم الفاعل (خامسة) كما في قوله تعالى: " وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ " (النور ٧):

وقوله تعالى: " وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ " (النور ٩)، وقد برزت الفاعلية الأسلوبية للعدد في هذين السياقين باختصاص الملاعنة بها بغضب الله، وقد علل ذلك الزمخشري بقوله: (فإن قلت: لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله؟ قلت: تغليظاً عليها، لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها وإطماعها، ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد)<sup>(١)</sup>

وفي كل هذه الأمثلة كان العدد على حقيقته فدلالته دلالة نصية.

ومن الأعداد التي جاءت في القرآن الكريم وأريد بها المعنى الحقيقي العدد (ستة)؛ ورد نكر هذا

الرقم في القرآن الكريم سبع مرات، وبصيغة اسم الفاعل (سادس) مرتين وأغلب ما استخدم فيه

(١) ينظر الكشاف ص ٧٢١.

للدلالة على عدد أيام خلق السماوات والأرض<sup>(١)</sup> ننكر منها مايلي:-

١- قوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (الأعراف: ٥٤)

٢- قوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسئَلُ بِهِ خَبِيرًا" (الفرقان: ٥٩).

٣- وقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَنِكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (هود: ٧).

فارتبط العدد ستة في الآيات الكريمة بعدد الأيام التي خلق فيها الله السماوات والأرض، والمتأمل في الآيات يجد أن تكرار الرقم نفسه في خلق الدنيا يدفع للتساؤل، فالخالق رب الكون كله القادر على خلق كل شيء، حدد المدة بحوالي أسبوع لاكتمال الخلق، وهو القادر على خلقها في اللازم، ولكنها إشارة قصدية للبشر تؤكد أن بناءنا في الحياة يدعو إلى التريث والصبر في الإنجاز، وأن تطور الأشياء يأتي بدرجات تستغرق زمناً لاكتمالها، فذكر العدد "ستة" في الآيات دل على الوحدانية بعظيم قدرته سبحانه وتعالى على الخلق والتكوين، والسياق كله مسخر لخدمة هذا المعنى، ففي آية الأعراف يطالعنا خطابه سبحانه وتعالى لخلقه بالخطاب الدال على

(١) ينظر: ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٣٤٤، وخلق الكون بين العلم

والدين دامحمد باسل الطائي ص ٧٧ دار النفائس ط ١ سنة ١٩٩٨م

نهاية الملاطفة لهم، حيث أضافَ نفسهُ إلى نفوسهم بقوله " رَبُّكُمْ اللهُ " لما لهم من الاختصاص به حيث كان مالكاَ لأمرهم، ومدبراً لأحوالهم أولاً، ولما له من الاختصاص بهم حيث كان منعماً بالخلق والإيجاد والتكوين والرحمة واللفظ ثانياً، فلهذا حصلت الإضافة منبهة على هذا المعنى، ودالة عليه، ثم قال " الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " حيث يكمن فيهما باهر القدرة، وعظم الملكوت، فقد قال في آية أخرى: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) (غافر ٥٧).، وخلق السموات والأرض غيب لم يشهده أحدٌ من البشر، لقوله تعالى: (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ) (الكهف: ٥١) أما قوله (في ستة أيام) فالله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، كما أخبر وهو الصادق جل وعلا أنه خلقها في هذه المدة، وهو قادر على أن يخلقها في لمحة بصر، قال تعالى: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (يس ٨٢)

وقد ذكر العلماء - رحمهم الله - أنه خلقها في ستة أيام ليعلم عباده عدم العجلة، وأن يتدبروا الأمور ويتعلوها، فربهم الذي يعلم كل شيء وهو القادر على كل شيء لم يعجل في خلق السماوات ولا في خلق الأرض، بل جعلها في ستة أيام، ولم يعجل أيضاً في خلق الأشياء الأخرى، بل نظمها ودبرها أحسن تنظيم وأحسن تدبير، ليعلم عباده التريث في الأمور وعدم العجلة في الأمور، وأن يعملوا أمورهم منظمة موضحة تامة على بصيرة وعلى علم من دون عجلة وإخلال بما ينبغي فيها .

ومن العلماء الذين حاولوا استنباط الحكمة من خلق السموات والأرض في

سته أيام: ١-الإمام

القرطبي الذي قال في تفسيره لآية الأعراف (وذكر هذه المدة - أي ستة أيام - ولو أراد خلقها في لحظة لفعل ؛ إذ هو القادر على أن يقول لها كوني فتكون، ولكنه أراد أن يعلم العباد الرفق والتثبت في الأمور، ولتظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء ..... وحكمة أخرى: : خلقها في ستة أيام ؛ لأن لكل شيء عنده أجلا، وبين بهذا ترك معالجة العصاة بالعقاب ؛ لأن لكل شيء عنده أجلا)<sup>(١)</sup>

٣- يقول أبو السعود في تفسيره للآية الكريمة : (...وفي خلق الأشياء مدرجاً مع القدرة على إبداعها دفعة دليل على الاختيار، واعتبار للنظار، وحث على التأنى في الأمور)<sup>(٢)</sup>

٢- أما في قوله تعالى " الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا " (الفرقان : ٥٩), فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الداعي إلى هذا العدد (ستة) في هذا السياق هو داعي حكمة، (فإن من أنشأ هذه الأجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائع بتدبير متين و ترتيب رصين، في أوقات معينة، مع كمال قدرته على إبداعها دفعة لحكم جليلة، وغايات جميلة، لا تقف على تفصيلها العقول)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تحقيق د/ عبدالله عبد المحسن التركي ج ٩ ص ٢٣٨ مؤسسة الرسالة ط ١ ٢٠٠٦ :

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ج ٣ ص ٢٣٢ . .

(٣) ينظر : المرجع السابق ج ٦/ص ٢٢٦

فالله سبحانه وتعالى قادر أن يخلقها في لحظة ولكن جعلها في ستة أيام  
تعلّماً لخلق الرفق

والتثبت<sup>(١)</sup> بدليل قوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ" (يونس: ٣)، يقول سيد قطب: (الأيام الستة لم تذكر هنا لنتجبه إلى تحديد مداها ونوعها، إنما تكررت لبيان حكمة التقدير والتدبير في الخلق حسب مقتضيات الغاية من هذا الخلق وتهيئته لبلوغ هذه الغاية)<sup>(٢)</sup>، أما قوله "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ" (فقد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والأرض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير، واتباعها بقوله "ثم استوى على العرش" لزيادة الدلالة على عظمتها وجلت قدرته وأنه ليس هناك أمر من الأمور خارج قضائه وتقديره)<sup>(٣)</sup>.

٣- كما أشار الله سبحانه إلى هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (هود: ٧).

فأخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه خلقها هكذا؛ لئبلونا وليختبرنا أيننا أحسن عملاً، وأتقن عملاً، وأكمل عملاً، فالعجل الذي لا يتدبر الأمور قد يخل

(١) ينظر: الكشاف ج ٣ ص ٢٩٤، والتفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٠٤

(٢) ينظر: في ظلال القرآن سيد قطب ص ٢٠٤٤.

(٣) ينظر الكشاف ص ٤٥٦.

بالعمل، فإله خلقها في ستة أيام ليبتلي العباد، بإتقان أعمالهم، وإحسان أعمالهم، وعدم العجلة فيها، حتى لا تختل شؤونهم ومصالحهم، فالسياق في هذه الآية دل على أن خلق السموات والأرض في ستة أيام - مع سيطرته سبحانه وتعالى وتحكمه بمقاليده الأمور-، كان من أجل ابتلاء الإنسان فقال: " لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا"، فذكر هذا الابتلاء جاء مرتبطاً مع الخلق والتكوين والقدرة ليشعر الناس بعظم هذا الابتلاء وجدديته مع أهميتهم في الحياة والموت على حد سواء (إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ)<sup>(١)</sup>، ففي هذه الآيات وما جاء في معناها الدلالة على أنه سبحانه خلق هذه الأشياء بهذا التنظيم وبهذه المدة المعينة ليبلو عباده ويختبرهم أيهم أحسن عملاً، فلم يقل أكثر عملاً بل قال: أحسن، فالاعتبار بالإتقان والإكمال والإحسان لا بالكثرة.

وبناء على ما سبق اتضح أن الله جلت قدرته وعظم سلطانه له مطلق القدرة، ومنتهى الإرادة،

وكمال التصرف والتدبير، وله في كل خلق من خلقه حكم بليغة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، وكذلك اتضح لك بعض الحكم والأسرار في خلق المولى سبحانه وتعالى السموات والأرض في ستة أيام، مع أنه قادر سبحانه أن يخلقها بكلمة " كن"، كل هذا عبر عنه سبحانه وتعالى بالعدد "ستة" الذي جاء على حقيقته ودل دلالاته النصية للعدد.

(١) ينظر: في ظلال القرآن ص ٢١٥٢ بتصرف .

**العدد (سبعة) :-** وسبعة هو أول رقم ذكر في القرآن الكريم وذلك في سورة البقرة آية ٢٩، وهو أكثر الأرقام تميزاً، والرقم سبعة ارتبط بالسموات السبع، وتردد ذكره سبع مرات في القرآن الكريم، فقد خلق الله سبع سموات وكّررها في القرآن الكريم تكراراً سبع مرات أيضاً، فالذكر بهذا الشكل لم يكن مصادفة إنما لحكمة إلهية، والسبعة تذكر في أبواب جهنم، قال تعالى: "لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ" (الحجر ٤٤)، وقد ورد ذكر هذا الرقم في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة في أغلبها للدلالة على عدد السموات والأرض<sup>(١)</sup>.

لقد كُثرت مجالات استعمال العدد (سبعة) ولم تتوافر لأي عددٍ آخر، وذلك لما يحمله هذا العدد من دلالات وإيحاءات دينية وتاريخية وفنية ترتبط بالحياة الاجتماعية في كل ميادينها، فعدد أيام الأسبوع، وعدد قارات الأرض، وعدد ألوان الطيف الرئيسية وعجائب الدنيا كلها (سبع) وما إلى ذلك من الدورات والظواهر الطبيعية<sup>(٢)</sup> والقرآن الكريم يقرر حقيقة كونية ثابتة وهي أن السموات عددها (سبع) مكرراً هذه الحقيقة سبع مرات في النصوص القرآنية<sup>(٣)</sup> وقد ذكر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام (سبع) مرات أيضاً - كما سبق وذكرنا ذلك في العدد (ستة) .

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٣٤٠

(٢) ينظر : الكون بين العلم والدين : ٨١

(٣) ينظر : البقرة ٢٩، والإسراء: ٤٣، والمؤمنون : ٨٦، وفصلت: ١٢، والطلاق : ١٢، الملك: ٣، ونوح : ١٥



فمن استعمال القرآن الكريم للرقم سبعة على حقيقته قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٩)، وقد دلَّ القرآن الكريم هنا، على وجود سبع سماوات، فضلاً عن القدرة الباهرة لخالقهن؛ ولذلك جاء ختمها بالعلم لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما احتوتها وخلق السماوات خلقاً مستوياً محكماً، وخالق كل هذا يجب أن يكون عالماً بما فعله مُحيطاً بكل تفاصيله<sup>(١)</sup> ففي الآية تشابه أطراف حيث ختمت بما يتناسب مع أولها

ويُقرر عز وجل أن لجهنم سبعة أبواب قال تعالى: "وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ" (الحجر ٤٤، ٤٣)، وفيه دلالة على كثرة الكفار وتعدد مسمياتهم بحيث لا يكفيهم بابٌ واحد بل سبعة أبواب لكل قسمٍ منهم باب، فواحد لليهود وآخر للمشركين والمنافقين وهكذا، كل قسم حسب درجة كفره ويدل على ذلك لفظة "أجمعين"<sup>(٢)</sup>

**العدد (ثمانية)** وقد وردَ خمس مرات في القرآن الكريم،<sup>(٣)</sup> فالثمانية في آيات الله ربط معناها بالأصناف؛ من الزوجين الذكر والأنثى من الأنعام وما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من بقر وضأن وماعز، كقوله تعالى: "ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ" (الأنعام ١٤٣)، فأفاد الإخبار عن

(١) ينظر من أسرار البلاغة في القرآن الكريم ص ١٨٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ٥٤٢/٢، والتفسير الكبير: ١٩٤/١٩، وصفوة التفسير: ١١٠/٢.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ١٦١.

عدد الأنعام التي سبق وذكر فوائدها التي أنعم بها على الإنسان.<sup>(١)</sup>  
 : كما جاءت ذكراً للأيام في معاقبة الله عباده الكافرين وقهرهم، ويأتي هذا  
 العدد في الأغلب لتحديد الزمن قال تعالى: "سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ  
 أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ" (الحاقة ٧)  
 فقد حدد زمن تسليط الله الريح على قوم عاد بسبع ليالٍ وثمانية أيامٍ تبعاً لا  
 تقتر ولا تنقطع<sup>(٢)</sup> بدلالة العدد (ثمانية) على القطع والثبات لعدم احتمالها معانٍ  
 أخرى كالتكثير أو التقليل كما في بعض الأعداد مثل (السبعة، والعشرة).

العدد **(تسعة)** هو ختام الأعداد الفردية دون العشرة، وقد ورد هذا العدد  
 في مواضع متعددة من كتاب الله عز وجل وأريد به معناه الحقيقي ومن ذلك  
 قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ

بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى  
 مَسْحُورًا (الإسراء ١٠١)

فالمراد بالعدد "تسع" في هذه الآية الكريمة الدلالة القطعية، فالآية الكريمة  
 ربطت العدد بالمعجزات التي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام، ويكاد أصحاب  
 معاني القرآن والمفسرون يتفقون على تعدادها وهي (العصا، واليد، والطوفان،

(١) ينظر: سورة لأنعام: ١٤٢

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر بن محمد جرير الطبري، ج ٢٣  
 ٢١٣ دار الفكر، بيروت. ١٤٠٥ هـ.، والجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/١٨

والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وانفلاق البحر، والسنين<sup>(١)</sup>، وقد جاء أهمية العدد في هذه الآية الكريمة بأن جعل الله تعالى منه معجزة نبيه موسى عليه السلام مؤيدا أياه بالتسع آيات المعجزات .

وقوله تعالى: " فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ "الخطاب هنا لمحمد صلى الله عليه وسلم أى فسأل يا محمد بنى إسرائيل عما جري بين موسى وفرعون فإنهم يعلمون مما لديهم فى التوراة، وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم لبنى اسرائيل هو سؤال استشهاد، فليس المطلوب من هذا السؤال أن يستفيد هذا العلم، بل المقصود منه أن يظهر لعامة اليهود وعلماهم صدق ما نكره صلى الله عليه وسلم، وفي الأمر بسؤال اليهود تنبيه على ضلالهم ومعرفتهم الآيات التسع يُظهر لهم صدقك (ويزداد يقينك لأن تضافر الأدلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب) <sup>(٢)</sup>، واستعمال الأفعال الماضية (أتينا، جاء، قال) دليل على أن الفعل قد وقع، وأكد الفعل ب (قد) للتحقيق والتأكيد كأنه قسم محذوف تقديره: والله لقد أتينا، وجاء التعبير ب (أتى) دون (أعطى) لأن الإيتاء لما هو أيسر وأخف، أما الإعطاء فهو لما أصعب، وقد أردف الآيات فى قوله "تسع آيات" بقوله "بينات" وهى صفة لها إذ هي حجج واضحة دالة على نبوة موسى عليه السلام ورسالته، وقد أكد هذا المعنى بأسلوب الأمر فى موضع آخر قال: " وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ " فى تسع آياتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

(١) ينظر: صفوة التفاسير ج ٢ ص ١٧٨ والكشاف ج ٢ ص ٦٥١

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى ل عبدالله بن عمر الشيرازى الشافعى البيضاوى ج ٣ ص ٢٦٨ دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان ط

١ (د . ت)

فَأَسْقِينِ" (النمل ١٢) فجاء العدد تسعة دالاً على معناه الحقيقي الموضوع له في أصل اللغة.

العدد (عشرة) : يعتبر العدد "عشرة" العدد الأساس لأنه يستعمل في جميع الحسابات وهو من أشهر الأرقام و أهمها، وقد احتل هذا العدد مفرداً تسعة مواضع في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، وكانت له دلالات واضحة الأثر ضمن سياق الآيات الوارد فيها، فمنها ما جاء على حقيقته، أي يدل على معناه دلالة قطعية كقوله تعالى : " فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ" (البقرة ١٩٦) فقد جاء العدد عشرة بمعناه الحقيقي ولم يرد به أي معنى بلاغي آخر كالتقليل أو التكثر والمبالغة .

ونلاحظ أن في هذه الآية إشارة لطيفة إلى لزوم إتخاذ العشرة (الكاملة) كمقياس، فقد وصفوها بالكمال استناداً إلى هذه الآية، وذلك لما كانت مراتب الأعداد أربعة: آحاد، وعشرات، ومئات، وألوف، وما وراؤه يكون مركباً أو مكسوراً.

وبهذا التفسير أكتسب العدد عشرة صفة الكمال، فصار تقدير الكلام : إنما أوجبت هذا العدد لكونه عدداً موصوفاً بصفة الكمال خالياً عن الكسر والتركيب<sup>(٢)</sup> .

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٢٦ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩٦/٥، والكون بين العلم والدين : ٧٩

## المبحث الثاني

### الدلالات البلاغية للأرقام في القرآن

الأصل في العدد أن يحمل على دلالة أي القيمة العددية الحصرية إلى أن تأتي القرينة الصارفة عن ذلك، وهذا ما نص عليه العلماء يقول الحافظ بن حجر (ت ٨٥٢هـ) في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما خيرنى الله فقال: "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (التوبة ٨٠) وسأزيد على السبعين<sup>(١)</sup>: (وكون ذلك وقع من النبي صلى الله عليه وسلم متمسكا بالظاهر على ما هو المشروع في الأحكام إلى أن يقوم الدليل الصارف عن ذلك لا إشكال فيه)<sup>(٢)</sup>

وفي شرح حديث (كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام العراقي (ت ٨٠٦هـ): (ولا يقوم على التكثر دليل، والظاهر أن المراد التحديد، وقال القرطبي<sup>(٤)</sup> إنه أظهر وأولى)<sup>(٥)</sup>

(١) رواه البخاري في تفسير القرآن باب قوله "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم" ح رقم ٤٣٩٣

(٢) ينظر فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٩

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسي عليهما السلام ح ٢٦٥٣

(٤) في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج ٦ ص ٦٦٩.

(٥) ينظر طرح التثريب في شرح التثريب لـ زين الدين عبد الرحيم العراقي ج ٨ ص ٢٥٠

دار إحياء التراث العربى (د ت)، (د ط)

هذا وقد ورد في القرآن الكريم بعض الأرقام التي جاءت ولم يقصد بها القيمة العددية الموضوعية لها، وإنما أريد بها التكثر والمبالغة، وكان لها مغزى بلاغي يتطلبه السياق والمقام، وسوف يتناول هذا المبحث الآيات القرآنية التي ورد فيها العدد وهو غير دال على كمية الشيء الذي وضع له، فهناك بعض القرائن والدلائل التي ترجح حمل العدد على معناه البلاغي دون الحقيقي للعدد، وكذلك بعض الدلالات البلاغية التي استعمل العدد من أجلها في الآيات القرآنية .

وأكثر الدلالات البلاغية التي استعمل العدد من أجلها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هي المبالغة في التكثر، وهي من أكثر الدلالات التي استعمل العدد من أجلها، حتى إنه لا يذكر المعنى البلاغي أو المجازي للعدد إلا وينقذ في ذهن إرادة التكثر مباشرة

**الأعداد المعهودة في المبالغة عند العرب :**

تعارفت العرب على استعمال أعداد مخصوصة أرادوا بها التكثر أو التعظيم أو غير ذلك من وجوه البلاغة دون إرادة المعنى الحقيقي الحصري، وأكثر هذه الأعداد استعمالاً في ذلك السبعة ومشتقاتها، فاللغة العربية لا تستعمل جذر سبع في المعنى الشائع وهو الرقم والعدد المعروف فحسب، بل أيضاً في معاني الكثرة والوفرة والتمام والمبالغة والوفاء والنهاية والكمال.

ففي معنى التضعيف والتكثر يقول أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) : (السبعة، والسبعون فيه دلالة على تضايف القوة والشدة كأنه ضوعف سبع مرات، ومن شأن العرب أن يبالغوا بالسبعة والسبعين من العدد لما في ذكرها من معنى المضاعفة)<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: البحر المحيط ج ١ ص ٢١٩.

وقال ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ—): (وقد تكرر ذكر السبعين، والسبعة، والسبعمئة، في القرآن والحديث والعرب تضعها موضع التضعيف والتكثير)<sup>(١)</sup>

وقال الحافظ بن حجر العسقلاني: (ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعين في العشرات، والسبعمئة في المئين ولا يراد العدد المعين)<sup>(٢)</sup>

وفي تهذيب اللغة: (والعرب تصنع التسبيع موضع التضعيف وإن جاوز السبع)<sup>(٣)</sup>

وفي التحرير والتنوير: (والسبعة: تستعمل في الكناية عن الكثرة كثيرا كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «والكافر يأكل في سبعة أمعاء»)<sup>(٤)</sup>

وفي معنى المبالغة وبلوغ الغاية: يقول الرازي: (السبعة عند العرب أصل في المبالغة في العدد)<sup>(٥)</sup>

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث (سبع) ج ٢ ص ٨٤٢.

(٢) ينظر: فتح الباري لشرح صحيح البخاري - لأبن حجر العسقلاني ج ٩ ص ٢٣ - مكتبة القاهرة سنة ١٩٧٨ م

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ل محمد بن أحمد الأزهرى تقديم فاطمة محمد أصلان باب العين والسين مع البناء ج ٢ ص ٧٠ دار احياء التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع (د. ط.)، (د. ت.)

(٤) ينظر التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ١٨١.

(٥) ينظر التفسير الكبير للرازي ج ٢٥ ص ١٥٨

ويقول البقاعي: (والمراد بالسبعين على ما ظهر في المآل المبالغة... والعرب تبالغ بما فيه لفظ السبعة لأنها غاية مستقصاة جامعة لأكثر أقسام العدد، وهي تنمة عدد الخلق كالسماوات والأرض والبحار والأقاليم والأعضاء)<sup>(١)</sup> ويفيد رقم "سبعة" أيضا التمام يقول الألوسي: (والمراد بالسبعة الكثرة بحيث تشمل المائة والألف مثلا لا خصوص العدد المعروف كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء» واختيرت لها لأنها عدد تام)<sup>(٢)</sup>

وهذا ما اتفق عليه في استعمال السبعة ومشتقاتها في المبالغة على ما عُهد من لسان العرب، أما ما سواها من الأعداد فقد وقع الخلاف فيها ومن ذلك المئة .

ذكر القرطبي في شرح حديث: (جعل الله الرحمة مائة جزء)<sup>(٣)</sup> عن بعض الشراح أن هذا العدد الخاص أُطلق لإرادة التكثر والمبالغة فيه، وتعبه بأنه لم تجر عادة العرب بذلك في المئة)<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي حسن البقاعي تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ج ١٨ ص ٥٥٧ دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط ٣ سنة ٢٠٠٦م

(٢) ينظر روح المعاني للألوسي ج ٢٥ ص ١٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب جعل الله الرحمة مائة جزء حديث ٥٦٥٤

(٤) ينظر التفسير الكبير للرازي ج ٢٥ ص ١٥٨



وقد ورد في القرآن الكريم رقم "سبعة" وأريد به المبالغة والتكثير ومن هذا قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (لقمان ٢٧)، نزلت هذه الآية الكريمة ردّاً على الكفار الذين قالوا ما يورده محمد صلى الله عليه وسلم سينفذ فقال: إنه كلام الله وهو لا ينفذ، وقد جاء نظم الآية بإيجاز بديع يرمز إلى غنى الله سبحانه الذي لا ينفذ وعمله الذي لا يحد وقدرته على الخلق تلك التي تفوق كل قدرة.

وقد نظمت الآية الكريمة بإيجاز بديع حيث بدأت بحرف (لو) وهي ليست "لو" الامتناعية، وإنما هي التي تستعمل لقصد الدلالة على أن مضمون الجزاء مستمر الوجود في جميع الأزمنة والأحوال، فالمقصود عدم انتهاء كلمات الله حتى في حالة ما لو كتبت بماء البحر كله، وجعلت لها أعواد الشجر كلها أقلاماً والأبحر مدادا فلا تنفذ ولم يقل سبحانه "من شجر" وإنما جاء القول على الأفراد لأنه (أريد تفصيل الشجر وتفصيلها شجرة شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا وقد بُرئت أقلاماً) <sup>(١)</sup> وفي الكلام من المبالغة في تكثير الأقلام ما يدعو إلى التأمل والعجب. (وذلك أن الأشجار مشتمل كل واحد منها على الأغصان الكثيرة، وتلك الأغصان كل غصن منها يقطع على قدر القلم فيبلغ عدد الأقلام في التناهي ما لا يعلم به إلا الله) <sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: البحر المحيط ج ٨ ص ٤٢١.

(٢) ينظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

وقوله سبحانه: "وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ" يعني أن يكون البحر مداداً ثم يزداد فيه إذا نشف مداده سبعة أبحر فجاء بالعدد (سبعة) دون غيره من الأعداد وهو (لا يراد به انحصار

الأبحر في سبعة" وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة ولو بألف بحر، والسبعة خصت بالذكر من بين الأعداد لأنها عدد كثير يحصر المحدودات في العادة)<sup>(١)</sup>

فيكون العدد (سبعة) في الآية الكريمة كناية عن الكثرة دالا على المبالغة والتضعيف والقدرة العجيبة (ولما كان لفظ سبعة ليس موضوعاً في الأصل للتكثير وإن كان مرداً به التكثير جاء مميزه بلفظ القلة، وهو (أبحر) ولم يقل بحور وإن كان لا يراد به أيضاً إلا التكثير ليناسب به اللفظين، فكما يجوز في سبعة واستعمل للتكثير كذلك يجوز في أبحر واستعمل للتكثير)<sup>(٢)</sup>

والتقابل بين الإثبات والنفي في جملتي : (وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) (مَا نَقَدْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ) أعطى للنص قيمة تعبيرية فائقة، وجاء الجمع (كلمات) مضافاً إلى لفظ الجلالة ليدل على الكثرة بسبب هذه الإضافة.

وقد ختمت الآية بقوله " إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " وفصلت هذه الجملة عما قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال، أو الاستئناف البياني، وهو ليس كلاماً

(١) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ١٥٧.

(٢) ينظر البحر المحيط ج ٨ ص ٤٢٠

منقطعا عن سابقه، وإنما هو جواب يتم به الكلام المنبثق عن الجملة السابقة، فالجملة تعليل لعدم نفاذ كلماته عزوجل، وكأن سائلا سأل عن علة عدم نفاذ كلمات الله، فكان الجواب " إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "، وجاءت الجملة مؤكدة بـ"إن" وكأن المخاطب بهذه الآية لما استشرفت نفسه، وتطلعت إلى معرفة السبب في عدم نفاذ كلمات الله - حتى ولو جعلت أشجار الأرض أقلاما والبحر المدود بأبجر مدادا - وهو أمر يبعد مثله في ظن المخاطب، فأكدت الجملة بـ"إن"، وقد ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني أن التوكيد بـ"إن" يزداد حسنا في الكلام يقول: (إذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن، وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه).<sup>(١)</sup>

ثم تأمل وضع لفظ الجلالة -هنا- موضع الضمير، فلم يقل إنه عزيز حكيم وقال " إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " فأكسب المعنى هيبه وفخامة وروعة تقشعر لها الأبدان وتلين بها الجلود والقلوب، وقد ختمت الآية بما يتناسب مع أولها ففيها تشابه أطراف حيث ختمت بـ عزيز "أى كامل القدرة فله مقدرات لا نهاية لها، و"حكيم" أى حكيم كامل العلم، ففي علمه مالا نهاية له، فثبت بذلك أن البحر لو كان مدادا لما نفذ ما فى علمه وقدرته .

ومما ورد فى القرآن الكريم للعدد "سبعة" وأراد به التكثر والمبالغة والتضعيف أيضا قوله تعالى: " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ص ٣٢٥

وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (البقرة: ٢٦١)، فقد جاء العدد "سبعة" للتكثير لأنه في سياق مضاعفة الأجر، ففي هذه الآية الكريمة يُرغَب اللهُ سبحانه وتعالى عباده على فعل الخير وعمل الحسنات عن طريق مضاعفة الأجر لأنه (لو علم إنسان يطلب الزيادة والريح أنه إذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الأجر في الآخرة عند الله أن لا يتركه إذا علم أنه يحصل على الوحدة عشرة ومائة، وسبعمائة)<sup>(١)</sup>، وقد جعل أصل التمثيل في التضعيف حبة لأن تضعيفها من ذاتها لا بشيء يزداد عليها)<sup>(٢)</sup> وأتبع هذا الأسلوب البديع بالتشبيه مُسنداً للإنبات إلى الحبة إسناداً مجازياً لأن المنبت في الحقيقة هو الله تعالى (ولكن الحبة لما كانت سبباً أُسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج سياقاً يتشعب منها سبع سنابل، لكل واحدة سنبله،)<sup>(٣)</sup> والتمثيل في قوله "كمثل حبة" إنما جاء للتكثير لا للحصر يقول صاحب تفسير المنار: (فالتمثيل للتكثير لا للحصر ولذلك قال بعدها (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ)، فيزيده على ذلك زيادة لا تقدر ولا تحصر، فذلك العدد لا مفهوم له)<sup>(٤)</sup>، وقد جاء التشبيه ليؤازر المعنى ويُبرز مضمون الجملة — (هذا التمثيل تصوير

(١) ينظر: التفسير الكبير ج ٧ ص ٤٨.

(٢) ينظر التحرير والتتوير ج ٣ ص ٤١.

(٣) ينظر الكشاف ص ١٤٩.

(٤) ينظر تفسير القرآن الحكيم المسمى بـ تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٦. دار المنار شارع الانشا ط ٣ سنة ١٣٦٧هـ.

للأضعاف، كأنها ماثلة بين عيني الناظر)<sup>(١)</sup>، ففي هذه الآية تشبيهه تمثيلي حيث شبه نفقة المنفقين في سبيل الله بالحبّة في مضاعفة الأجر فهي عندما يغرسها الغارس تنبت ساقا يتشعب منه سبع شعب، لكل واحد سنبله وفيه تجسيد بديع بعقد المماثلة بين المشبه والمشبه به والغرض من التشبيه هنا هو أولاً توضيح المعنى وتقريبه للأذهان، ثانياً: تأييده بالدليل المحسوس الذي لا يكابر فيه المكابر ولا يتعنت فيه المتعنت، ثالثاً: تزيين المشبه وتجميله وإلهاب الرغبة فيه، بحيث لا يتردد أحد في الإنفاق بعد أن رأى بعينه سلفاً ما أعد له من جزاء<sup>(٢)</sup>، فالمشبه حال من ينفق في سبيل الله إنفاقاً قليلاً، ثم ينال عليه جزاء عظيماً، والمشبه به حال من بذر حبة قمح فأنبئت له سبع سنابل في كل سنبله مئة حبة، ووجه الشبه هو صورة من يعمل قليلاً فيجنى عمله كثيراً .

ويقول ابن القيم في بيان بلاغة هذا المثل، وحسن موقعه على النفوس: (هذه الآية كأنها كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض، ومثله - سبحانه وتعالى - بهذا المثل إحضاراً لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض، فأنبئت سبع سنابل، في كل سنبله مئة حبة، حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته، كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة، فينضاف الشاهد العيان إلى الشاهد الإيماني القرآني، فيقوي إيمان المنفق، وتسخو نفسه بالإنفاق)<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر الكشاف ص ١٤٩ ..

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ج ١ ص ٣٥٠

(٣) ينظر التفسير القيم لابن القيم تحقيق محمد حسان الفقي ص ١٥٤ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

وقد عقد الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة فصلاً خصصه للكلام على التشبيه، والتمثيل وحقيقتيهما، والمراد منهما خصوصاً في كلام من يتكلم على الشعر، وتقوم نظرتة في ذلك على شيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين : أحد هما: أن يكون من جهة أمر بين، لا يحتاج فيه إلى تأويل. والآخر: أن يكون الشبه محصلاً، بضرب من التأويل، فالأول هو التشبيه غير التمثيلي، والثاني هو التمثيل (١)

وفي تشبيه النفقة بالحبّة دليل على عظيم قدرة الله تعالى يقول الزركشي: (وفي تمثيل النفقة بالحبّة المذكورة إشارة أيضاً إلى البعث، وعظيم القدرة، إذ حبّة واحدة يخرج الله منها سبعمائة حبّة، فمن كان قادراً على مثل هذا الأمر العجاب فهو قادر على إحياء الموات)<sup>(٢)</sup> وقد عبر القرآن الكريم بالعدد "سبعة" لما يدل عليه هذا الرقم من التمام والتكثير والتضعيف يقول البقاعي : (وذكر السبع لما فيه من التمام، وما يقبله من التكثير، فإن ما أنبت أكثر من سبع إذا قصد بالتكثير أنبأ عنه بالسبع، لأن العرب تكثر به ما هو أقل منه أو أكثر فجعل أدنى النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف، ثم فتح تعالى باب التضعيف إلى ما لا يصل إليه عد)<sup>(٣)</sup>،

(١) ينظر: أسرار البلاغة ص ٤٠

(٢) ينظر البحر المحيط ج ٢ ص ٦٥٣.

(٣) ينظر: نظم الدرر للبقاعي ج ٤ ص ٧٥.

ومما يدل على أن المراد بالعدد "سبع" هنا هو التضعيف والتكثير، أن الله تعالى ذكر (سنابل) بصيغة جمع الكثرة في هذه الآية الكريمة، بينما جاءت في سورة يوسف "سنابلات" بصيغة جمع القلة في قوله تعالى: "وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرٍ يَابِسَاتٍ" (يوسف: ٤٣)، مع كونها قد وقعا معدودين للعدد (سبع) في الموضوعين، والسبب يعود في ذلك إلى أن سياق الآية الأولى كان في مضاعفة الأجور والتكثير، وجاء في الآية الثانية على لفظ القلة لكون حقيقة العدد (سبع) قليلة ولا مقتضى للتكثير، فكل منهما جاء مراعيًا لمقتضى الحال<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى " وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ " (ليس فيه بيان كمية تلك المضاعفة، ولا بيان من يشرفه الله بهذه المضاعفة، بل يجب أن يجوز أنه تعالى يضاعف لكل المنفقين، ويجوز أن يضاعف لبعضهم من حيث يكون انفاقه أدخل في الإخلاص، أو لأنه تعالى بفضلِه وإِحسانِه يجعل طاعته مقرونة بمزيد القبول والثواب)<sup>(٢)</sup> وهذا أحدث أثراً أسلوبياً في النص للدلالة على المسارعة في الخير والإخلاص فيه.

وقد تضافرت وتلاحمت الألوان البلاغية في الآية الكريمة فإلى جانب التشبيه جاء الإيجاز

(١) ينظر: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ص ١٧٢-١٧٣، والتعبير القرآني ص ٣٩

(٢) ينظر التفسير الكبير ج ٧ ص ٤٨.

بالحذف حيث حذف المضاف هنا، وتقديره : (كمثل باذر حبة أو زارعها)، ولعل السر في هذا الحذف هو اهتمام القرآن بالصدقة نفسها، والجزاء عليها هذا الجزاء المضاعف.

وفي الآية أيضا احتباك في قوله : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ يَقُولُ الْبِقَاعَى : (فَالْآيَةُ مِنَ الْاِحْتِبَاكِ وَتَقْدِيرِهَا مِثْلُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ وَنَفَقَتَهُمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ وَزَارِعِهَا، فَذَكَرَ الْمَنْفِقَ أَوْلَا دَلِيلَ عَلَى حَذْفِ الزَّارِعِ ثَانِيَا وَذَكَرَ الْحَبَّةَ ثَانِيَا دَلِيلَ عَلَى حَذْفِ النَّفَقَةِ أَوْلَا، وَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيرُ : فَكَمَا ضَاعَفَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلزَّارِعِ حُبَّتَهُ فَهُوَ يَضَاعَفُ لِلْمَنْفِقِ، عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : "وَاللَّهُ يَضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ" بِمَا لَهُ مِنَ السَّعَةِ فِي الْقُدْرَةِ وَكُلِّ صِفَةِ حَسَنَى)<sup>(١)</sup>

وكما ذكرت العرب العدد "سبعة" للكثرة والمبالغة والتضعيف، ذكرت أيضا "السبعين" للكثرة والمبالغة والتضعيف، ولعل العدد "سبعين" هو أعظم الأعداد دلالة على الكثرة، يقول الزمخشري : (والسبعين جارٍ مجرى المثل في كلامهم للتكثير)<sup>(٢)</sup>، ويقول البيضاوي : (وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير، لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره)<sup>(٣)</sup>، وهذا العدد لا يشير إلى قيمة بذاته كما في قوله تعالى : "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ" (التوبة ٨٠)، فالخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت الآية

(١) ينظر نظم الدرر للبقاعي ج ٤ ص ٧٥.

(٢) ينظر الكشاف ص ٤٤٣.

(٣) ينظر تفسير البيضاوي ج ٣ ص ٩١.



بشأن التوبة، والمراد من الآية الكريمة أى: مهما أكثرت من الاستغفار لهم وبالغت فيه فلن يغفر الله لهم أبداً لكفرهم ومعصيتهم، فمن المعلوم أن الله لا يغفر لهم فى السبعين ولا فى السبعة الآلاف.

والفعل "استغفر" فعل أمر خرج عن المعنى الحقيقى للأمر إلى معنى بلاغى وهو التسوية، ومجىء الفعل "أولا تستغفر لهم" بعد (لا) مجزوماً يجعله فى صورة النهي، ومعنى النهي لا يستقيم فى هذا المقام إذ لا يستعمل النهي فى معنى التخيير والإباحة فلا يجتمع النهي مع (أو) التى تفيد تخير المخاطب فى أحد الأمرين مع انتفاء الفائدة على كليهما<sup>(١)</sup>.

وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لى فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله يغفر لهم)<sup>(٢)</sup> فالرسول صلى الله عليه وسلم قال ذلك إظهاراً لرأفته ورحمته لمن بعث إليهم .

وقرينة الحال أفادت أن المراد من العدد (سبعين) الدلالة على الكثرة والمبالغة (فالسبعة)، والسبعون فيه دلالة على تضاعيف القوة والشدة كأنه ضوعف سبع مرات، ومن شأن العرب أن يبالغوا بالسبعة والسبعين من العدد لما في ذكرها من معنى المضاعفة<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر التحرير والتنوير ج ١٠ ص ٢٧٧ بتصرف

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١٨٨ .

(٣) ينظر البحر المحيط ج ١ ص ٢١٩ .

وقد حذف المفعول به من جميع الأفعال الواردة في الآية "أستغفر"، "أولا تستغفر"، "تستغفر"، "يغفر" والملاحظ أن هذه الأفعال مشتقة من أصل واحد هو (غفر) (وأدى تكرارها بصيغ مختلفة إلى نفي غفران الله ذنوب هؤلاء على الرغم من استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لهم على رفعة مقامه<sup>(١)</sup>، وانتصب (سبعين مرة) على المفعولية المطلقة لبيان عدد المرات التي تعنى هنا الكثرة كقولنا أحياناً ضربته خمسين ضربة وما ذلك إلا للمبالغة والتفخيم، والمعنى: مهما أكثر من الاستغفار لهم وبالغت فيه فلن يغفر الله لهم أبداً، لكفرهم ومعصيتهم؛ لأنهم فعلوا ما لا يُغفر وأي جرم أكبر من الكفر بالله سبحانه وتعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم، وبعد انتفاء المغفرة لا سبيل لهم إلى التوبة، حتى رفع الله تعالى عن هذه السورة وحدها آية البسمة لتنتهي الرحمة عنهم.

وفي تكرار شبه الجملة (لهم) ما يفيد التأكيد على أن الاستغفار لجماعة المنافقين لا يحقق لهم فائدة، و في تكرار الفعل (يستغفر) المصاحب للعدد ثلاث مرات دلالة تفيد تعميق الفكرة التي يحملها اللفظ المكرر .

و مما يلفت الانتباه كثرة تكرار صوت السين الذي يعد أكثر أصوات الصفير صفيراً وهو يؤكد

الضعف والهوان لأولئك الذين لا يجدي الاستغفار لهم، وأيضاً ورود صوت الهاء وهو صوت

(١) ينظر : السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية د عبد الواحد عهود ص ١٤٧ دار الفكر للطباعة والنشر ط ١ سنة ١٩٩٠م

مهموس رخو ضعيف كل هذا يؤكد ضعفهم وعجزهم .

ونظير الآية السابقة " إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ... " قوله تعالى: " ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ " (الحاقة ٣٢) فالعدد "سبعين" لا يراد به حقيقته ولكن أريد به المبالغة والكثرة، فالمعنى: فى سلسلة طويلة هائلة، يقول ابن عاشور: (فعدد السبعين مستعمل فى معنى الكثرة على طريقة الكناية مثل قوله تعالى: "إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ")<sup>(١)</sup>، ويقول أبو حيان: (يجوز أن يراد به المبالغة فى طولها وإن لم يبلغ هذا العدد).<sup>(٢)</sup>

ويقول فى موضع آخر: (والسبعون فيه دلالة على تضاعيف القوة والشدة كأنه ضوعف سبع مرات، ومن شأن العرب أن يبالغوا بالسبعة والسبعين من العدد لما فى ذكرها من معنى المضاعفة)<sup>(٣)</sup>

وفى تقديم "سلسلة" على عامله "فاسلكوه" ما يفيد التخصيص أى لا تسلكوه إلا فى هذه السلسلة، وكأنها أفضع من سائر مواضع الإرهاق فى الجحيم .

وقد خصص الطول بالرقم "سبعين" دون غيره من الأرقام مبالغة فى الوصف بالطول؛ لأن السلسلة كلما طالت كان الإرهاق أشد والعذاب أمض .

(١) ينظر التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ١٣٨ .

(٢) ينظر البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي ج ٨ ص ٣١٩، ٣٢٠ .

(٣) ينظر المرجع السابق ج ١ ص ٢١٩ .

ومن الأعداد التي ذكرت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأريد بها المبالغة والتكثير والتضعيف العدد "عشرة" ومن ذلك قوله تعالى: "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" (الأنعام ١٦٠)، فالجزاء على الحسنه بعشرة أضعاف

وذلك فضل ورحمة من الله سبحانه وتعالى وقد زاد الله في بعض الحسنات فضاعفها سبعمائة

ضعف وهذا يقوي دلالة العدد (عشرة) على الكثرة فلا يراد به حقيقته، فالمراد بالعشرة الكثرة دون العدد يقول الرازي: (والتقدير بالعشرة ليس المراد منه التحديد، بل أراد الأضعاف مطلقاً، كقول القائل لئن أسديت إليّ معروفاً لا كافئك بعشر أمثاله)<sup>(١)</sup>

وهذا العدد هو أقل ما وعد الله عز وجل به عباده من الأضعاف، فقد وعد سبحانه وتعالى عباده

في مواضع أخرى بـ "سبعين" وبـ "سبعمائة" ضعف ووعد ثواباً بغير حساب يقول الزمخشري:

(وهذا أقل ما وعد من الأضعاف، وقد وعد بالواحد سبعمائة، ووعد ثواباً بغير حساب)<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر التفسير الكبير ج ١٠ ص ١٤

(٢) ينظر: الكشاف ص ٣٥٤

ويؤكد هذه الدلالة ما رواه ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى، قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبت الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبت الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبت الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها، كتبت الله سيئة واحدة<sup>(١)</sup>). ويلاحظ أن صوت العين المجهور القوي مع صوت الشين المنقشي يوحى بالتوكيد وتقوية المعنى وتقريره.

ونجد أنه في جانب السيئة قال (فلا يجزى إلا مثلها) ولم يقل: ومن جاء بالسيئة فيجزى مثلها، بقصد الاهتمام بجانب نفي الزيادة على المماثلة لذلك جاء بصيغة أسلوب القصر الحقيقي فقال "فلا يجزى إلا مثلها" وأعقبه بقوله (وهم لا يظلمون) إظهاراً للعدل الإلهي.

وقد تكرر أسلوب الشرط من خلال الأداة (من) والفعل (جاء) وبالتالي الصيغة كاملة، مما يجعلنا نلمس التقابل الدلالي الواضح بين لفظي (الحسنة) و(السيئة) والذي يثير إحساساً بجدية الحياة وضرورة العمل الدؤوب فيها لجني الحسنات وترك السيئات، حيث يجزى كل إنسان حسب عمله وفق مبدأ الثواب والعقاب وهو تعبير دقيق عن عدالة الحق سبحانه وتعالى وفضله وكرمه على عباده في كل حين حيث جعل لمن جاء بالحسنة عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فيجزى مثلها، دون أن يظلم أحداً من خلقه. فمجيء هذه الألفاظ

(١) رواه البخاري كتاب الرقاق باب من هم بحسنة أو سيئة حديث رقم ٦٤٩١.

المتقابلة (معززة بأسلوب الشرط يمنح الكلام تأثيراً عميقاً يجعل المستمع في حالة استيعاب كامل لمغزى وحقيقة الكلام مدركاً أبعاد الاختيار بين القضيتين المتقابلتين)<sup>(١)</sup>

ويؤكد هذا المعنى تكرار الفعل (جاء) الذي حقق دلالتين متناقضتين فالأول دل على الترغيب في فعل الخير من خلال ثوابه بعشر منه، أما الثاني فقد دل على الترهيب من أجل الابتعاد عن العمل السيء وذلك لأنه سيعاقب بمثله، وأختلفت بنية الجملة من حيث الإثبات والنفي في النهاية لتتوافق مع الآية ودلالاتها فجاءت صيغة الإثبات مقترنة بالحسنة، وجاءت صيغة النفي مقترنة بالسيئة ثم إن الحسنة دلت على أضعاف كثيرة وصلت إلى العشرة، في حين نجد أن السيئة بقيت على حالها.

ومن الإعجاز في الأرقام أن العدد " عشرة " يفيد التقليل كما أفاد التكرير، فيفيد الشيء وضده، وهنا يظهر الأثر الأسلوبي للسياق جلياً حيث جاء العدد (عشرة) بمعنيين متضادين : أولها - دلالاته على الكثرة والإطلاق في قوله تعالى "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا"

وأما الآخر :الدلالة على التقليل كما في قوله تعالى : " يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا " (طه ١٠٤، ١٠٣).

(١) ينظر : ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية : ٨٤

فقوله " يَتَخَفَتُونَ " أي: يخفضون أصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب و شدة هول المطلع، (أو لأنهم صاروا بسبب الخوف في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر)<sup>(١)</sup>، فجملة (يتخافتون) حال أخرى من (المجرمين) في الآية السابقة (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) (يتخافتون) وما تحمله من دلالة أقدر أن يظهر حالاً من أحوال الكفار يوم القيامة إذ يذكرون تأسفهم على حالهم في الدنيا استقصاراً لمدة لبثهم فيها وهم قد علموا يقيناً- يوم القيامة - أن لاموت وأنهم خالدون في العذاب، فكل ما كان من الزمان في الدنيا قصير مقارنة بالآخرة لذلك كانوا يتساوون بينهم<sup>(٢)</sup> ومن يتخافت يكون خائفاً يختار أقل الكلمات التي تؤدي المعنى المراد، فالمجرمون في دهشة من شدة الموقف الذي يعانونه يعيشون في حالة نفسية مضطربة بوجل، وخوف، ورعب ينسون معها الزمان فلا يتذكرون كم لبثوا من الأيام أو السنين فقال بعضهم ما لبثنا في الدنيا إلا عشرة أيام، وقال أعقلهم بل ما لبثنا إلا يوماً واحداً(وإنما خص العشرة والواحد بالذكر لأن القليل في أمثال هذه المواضع لا يعبر عنه إلا بالعشرة والواحد)<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ج ٢٢ ص ١١٥.

(٢) ينظر روح المعاني ج ١٦ ص ٢٦١.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ج ٢٢ ص ١١٥

فالعدد "عشرة" هو ما يدل على التقليل يقول الإمام الماوردي : (العشر على طريق التقليل دون التحديد)<sup>(١)</sup>، وقد جاء لفظة (عشرا) فاصلة وهي تدل على توقع عدد منهم عدد أيام بقائهم، وأصوات هذه اللفظة بضعفها تدل على ضعف المجرمين وعجزهم، وقد حذف المميز للعدد هنا وحذفه أبلغ من ذكره إمعانا في قصر الزمن، فهم لم يلبثوا إلا عشراً، فالحذف يفيد التقليل أكثر وسياق الآية التي بعدها يؤيد هذا .

وهكذا وجدنا أن العدد "عشرة" قد جاء في القرآن الكريم بصور مختلفة منها ما كان علي حقيقته أى القيمة العددية له، ومنها ما كان للمبالغة والتضعيف والتكثير، ومنها ما أفاد التقليل والتحديد.

ومن الأعداد التي وردت في القرآن الكريم وكانت للمبالغة والتكثير عدد "الألف" وهذا في قوله

تعالى : (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (القدر ٣)

فالمراد بالعدد (ألف) المبالغة والتكثير يقول البقاعي (ونكر "الألف" للمبالغة بنهاية مراتب العدد ليكون أبلغ من السبعين في تعظيمها)<sup>(٢)</sup>؛ لأن تفضيل ليلة القدر بالخير على ألف شهر إنما

(١) ينظر: النكت والعيون تفسير الماوردي تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ج ٣ ص ٤٢٥ دار الكتب العلمية بيروت (د. ط) و(د. ت)

(٢) ينظر تفسير البقاعي ج ٢٢ ص ١٧٩.



هو بتضعيف فضل ما يحصل فيها من الأعمال الصالحة واستجابة الدعاء ووفرة ثواب

الصدقات والبركة للأمة فيها؛ لأن تفاضل الأيام لا يكون بمقدار أزمنتها ولا بما يحدث فيهما من حرّ أو برد ولا بطولها وقصرها، هذه الأحوال غير معتدّ بها عند الله ولكن الله سبحانه وتعالى يعبأ بما يحصل من الصلاح للناس وما يعين على الحق والخير ففضّل ليلة القدر بما أعدّها من

تفضيل ثلث الليل الأخير، لهذا كله فقد ذهب ابن عاشور أيضاً إلى أن (الألف) مستعمل للدلالة على المبالغة والكثرة وليس على الحقيقة<sup>(١)</sup>.

ويبقى الكلام عن سبب كون تمييز (الألف) من الآية (شهر) وليس ليلة مع أن الكلام عن ليلة القدر، فقد أراد الله سبحانه أن يُعلمنا بعظمة هذه الليلة وهي ليلة لا تقاس بليالٍ أُخر ولا بالأسابيع بل بالأشهر، ولعل قائلاً يقول: فلم لم يقل خير من ألف سنة؟ والسنة أكثر من الشهر؟ فجوابه أن الكلام عن شهر رمضان لا عن السنين، كما أن مجيء شهر فيه رعاية للفاصلة في هذه السورة، و(ليلة) مبتدأ مضاف إلى القدر وهذه الإضافة أكسبت الاسم تخصيصاً وتعريفاً والأصل (هي خير) فأقيم المظهر مقام المضمّر تفخيماً لشانها وتعظيماً لها وجاء الخبر اسماً مفرداً ليبدل على ثبوت الحكم واستمراره.

وهناك أرقام أُخري لها معانٍ ظنية غير المعنى الحقيقي للعدد، تفهم من السياق.

(١) ينظر التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٥٩.

ومن الأرقام التي كانت لها دلالة بلاغية العدد "اثنان" فالعدد "اثنان" يشير إلى أنه ضعف العدد "واحد" إلا أن السياق يضيف إليه دلالة جديدة بتأثير منه واستجابة لمقتضى الحال من ذلك إفادة العدد (اثنين) للتوكيد، قال تعالى: "فَأَسْأَلُكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ" (المؤمنون: ٢٧)، فالعدد "اثنين" هنا لم يأت لبيان العدد لأن لفظة "زَوْجَيْنِ" دلت عليه، وإنما جاء لتأكيد العدد وزيادة بيان أهميته<sup>(١)</sup>.

والعدد اثنين شمل كل زوجين من المخلوقات بدأت معهم الحياة من جديد، فدلّ على الاستمرارية والتجديد والبناء منهُمَا الذكر والأنثى، والمتأمل في الخطاب القرآني يجد بناء النص القرآني بتلك الثنائيات الضدية التي يشملها هدف الرسالة كاملاً، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصولاً بالعباد إلى الجنة وإبعادهم عن النار، ومن تلك الثنائيات نذكر: الجنة والنار، الملائكة والشياطين، الليل والنهار، الدنيا والآخرة وغيرها من الثنائيات التي أبرز الباحثون في الإعجاز القرآني تكرارها بالعدد نفسه

وكذلك في قوله تعالى " وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ" (النحل: ٥١)، فالمقصود من ذكر العدد (اثنين) بعد لفظ المثنى "إِلَهَيْنِ" الدال على العدد هو (تأكيد التنفير عنه وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح)<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ص ٧٠٦

(٢) ينظر: التفسير الكبير : ٤٩/١٩

وأشار الزركشي إلى أنه قد يأتي بمعنى التخصيص عندما يكون بصيغة اسم الفاعل "ثاني" حيث يراد به واحد من ذلك العدد فيكون مضافاً للعدد الموافق له<sup>(١)</sup>، نجد ذلك في قوله تعالى: "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" (التوبة ٤٠) فقوله "ثاني اثنين" وهما: رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه، لا ثالث لهما تخصيص أحدهما بمخاطبة صاحبه "لا تحزن إن الله معنا" وهو الرسول صلى الله عليه وسلم .

والسياق يرسم لنا مشهد النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه: "إذ هما في الغار" والقوم على إثرهما يتعقبون، والصديق رضى الله عنه -يجزع ويقلق على صاحبه لا على نفسه حيث يبلغ فيه السمو البشري أقصاه، ولكن كل هذا الخوف والقلق يُبدد ببضع كلمات من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنزل الله سكينته على قلبه: "لا تحزن إن الله معنا"، بجملة اسمية مؤكدة لتتناسب مع حالة الخوف والحزن<sup>(٢)</sup>

وفي نهاية البحث اتذكر قول القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى لما قال: (إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه؛ إلا قال فى غده

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ١١٧/٤، دار الفكر، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٥ م .

(٢) ينظر: في ظلال القرآن ص ١٩٢١، والمعاني الثانية في الأسلوب القرآني: ٣٨٢-

لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، هذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

### الخاتمة

نصل بعد هذه الدراسة لبلاغة الأرقام في القرآن الكريم إلى نهاية البحث ولا أدعى استيفاء المراد كاملاً ولا الإحاطة بمرامي القرآن في آيات بلاغة الأرقام الواردة فيه، وإنما هذا جهد مقل لم تعنه ظروفه وضاقت وسائله عن سعة طموحه.

فقد وصلت بعد تجوالى في رحاب القرآن الكريم إلى نتائج عدة أهمها:

١- إن بلاغة العدد في القرآن الكريم أحاطت بجميع أجزاء العدد وأنواعه، كما ورد في هذا السياق الأعداد المفردة والمركبة إلا أن الأعداد المفردة كانت أكثر وروداً من باقى الأعداد.

٢- حاز العدد (واحد) على أكبر تردد من بين الأعداد في القرآن الكريم وذلك دليل تأكيده على وحدانية الخالق عز وجل وانفراده سبحانه وتعالى بالربوبية والألوهية حيث لم يرد (الواحد) صفة إلا لله تقديس اسمه، ثم تلاه العدد (سبعة)، وذلك دلالة على عظمة الخالق في خلق السماوات والأرض، وأيضاً لتأديتها معنى الكثرة والمبالغة، ثم جاءت بعد ذلك بفروق بسيطة

وعلى التوالي الأعداد (ثلاثة . وأربعة . وستة . وعشرة . وثمانية . وتسعة) في مختلف المعاني والدلالات كالقلة والكثرة والأحكام الدينية والتشريعية (٠٠٠ الخ).

٣- تضمنت الآيات القرآنية أعداداً متنوعة، وقد تنوع استعمال هذه الأعداد بين استعمالٍ حقيقي يراد به المعنى الظاهري الرقمي للعدد، وبين استعمالٍ بلاغي مجازي لا يراد به هذا المعنى الظاهري إنما معنى آخر قُصد من ورائه.

٤- إن دلالات العدد ومعانيه نشأت من تأثير السياق على القيمة الدلالية للعدد بصورة مباشرة، فلا تكون للأعداد هذه الدلالات الواسعة وهي متجردة من سياقاتها سوى المعنى اللغوي لها .

٥- الأصل عند العلماء حمل العدد على معناه الظاهري الحقيقي إلى أن تأتي قرينة صارفة إلى المعنى البلاغي.

٦- مفهوم العدد عند الأصوليين وخلافهم فيه محصور بالمعنى الحقيقي الظاهري للعدد.

٧- اتفق العلماء على استعمال العدد (سبعة) ومشتقاته في المعنى البلاغي، واختلفوا فيما سواه من الأعداد.

٨- الغالب من استعمال المعنى البلاغي للعدد إرادة التكثر والمبالغة والتضعيف، لكن قد يستعمل في معنى آخر وهو إرادة التقليل.

وختاماً أقول إن هذا البحث متواضع جداً قياساً بعظمة الموضوع الذي تم البحث فيه، والساحة التي كانت مدار البحث، فبلاغة الأرقام موضوع كبير، ولكن هذا ما وفقني الله لذكره فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء والله العزة والكمال والحمد لله رب العالمين

### فهرس المصادر والمراجع

#### \* القرآن الكريم

- الإيتان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود (ت ٩٥١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني تحقيق/محمود محمد شاكر-دار مدني ط١ ١٩٩١ م.
- أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم، د. محمود السيد شيخون،، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي، (ت ١٣٠٥هـ)،تح: عبد القادر عرفان، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

- الإيضاح في علوم البلاغة، الأمام الخطيب القزويني تحقيق : د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط٣. ١٩٧١م.
- البحر المحيط: أبو حيان النحوي (ت ٧٤٥ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م.
- البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، بدرالدين محمد بن عبد الله، دار الكتبي، الطبعة الأولى
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٥ م .
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٧ هـ) تحقيق علي احمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧ م .
- البيان و التبيين -للجاحظ -تحقيق فوزي عطوى -دار صعب -بيروت عام ١٩٦٨م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر، (د.ت).
- تطور البحث الدلالي (دراسة في النقد البلاغي واللغوي)، د. محمد حسين علي الصغير، مطبعة العاني، دار الكتب العلمية — بغداد، ط١، ١٤٠٨م. ١٩٨٨م.

- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم (دراسة دلالية مقارنة)، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط ١، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م.
- التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، العراق . ١٩٨٦ .
- تفسير القرآن العظيم المعروف بـ(تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت . ١٤٠١ هـ .
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب المشتهر بـ(تفسير الرازي)، للأمام محمد الرازي فخر الدين (٦٠٤ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- تفسير القرآن الحكيم المسمي بـ تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا. دار المنار شارع الانشا ط ٣ سنة ١٣٦٧ هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بن محمد جرير الطبري، دار الفكر، بيروت . ١٤٠٥ هـ .
- الجامع لاحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق : احمد عبدالعليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط ٢ . ١٣٧٢ هـ .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الحمن بن محمد مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (د.ت) .



- حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للحلبى تحقيق أحمد محمد الخراط دار القلم دمشق (د،ت)(د،ط).
- دلائل الإعجاز - للإمام عبد القاهر الجرجاني - تحقيق امحمود محمد شاکر - مطبعة مدني بالقاهرة - ط ٣ عام ١٤١٣ هـ عام ١٩٩٢ م .
- روح المعاني - للألوسي - تحقيق اعلى عبد البارى عطية - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ عام ١٤١٥ هـ عام ١٩٩٤ م.
- صحيح البخاري - للإمام محمد بن إسماعيل البخاري - ضبطه ورقم أحاديثه / محمد عبد القادر أحمد عطا - دار التقوى للتراث ط ١ سنة ١٤٢١ هـ سنة ٢٠٠١ م.
- الصناعين - أبي هلال العسكري - تحقيق / د / مفيد قمحة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ٣ سنة ١٤٠٩ هـ سنة ١٩٨٩ م.
- العدد في اللغة (دراسة لغوية ونحوية)، د. مصطفى النحاس، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩ م.
- العمدة - لأبن رشيق - تحقيق / محمد محي عبد الحميد - طبعة دار الجيل - بيروت لبنان ط ٥ - سنة ١٤٠١ هـ سنة ١٩٨١ م .

- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود . إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد . ١٩٨٤ م.
- فتح الباري لشرح صحيح البخاري - لأبن حجر العسقلاني - مكتبة القاهرة سنة ١٩٧٨ م
- الكشف للزمخشري المطبعة الشرقية ط اسنة ١٩٢٢، ودار الفكر العربي للطباعة والنشر .
- لسان العرب - لأبن منظور- دار المعارف
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة الشعب، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (د.ت).
- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي(ت ٦٢٦هـ)، تحقيق : اكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة . بغداد ط١، ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م.
- المقتضب، لأبي العباس المبرد،تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، ١٣٨٦ هـ .
- من أسرار البلاغة في القرآن، د. محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٤ م
- من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، ط٣، ١٩٥٠ .

- النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي، المطبعة النموذجية — مكتبة الآداب.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي حسن البقاعي تحقيق عبد الرازق غالب المهدي دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط ٣ سنة ٢٠٠٦م.

- النكت والعيون تفسير الماوردي تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية بيروت (د. ط) و(د. ت)

.....